

شيلي

أضواء على حياته وشخصيته وفنّه

الحلقة الأولى

ترجمة وتايخيص

احسان الملائكة



<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

مقدمة المترجمة :

بيرسي بيشيه شيلي ١٧٩٢-١٨٢٢ شاعر انجليزي ذو مكانة ادبية تحاذي مكانة شيكسبير لدى كثير من نقاد الادب ، لكن شخصيته بقيت لفترة طويلة محجوبة عن اعين المثقفين والمتأدبين بستار صفيق من الغموض ، حتى جهلوا مكانته في عالم الادب والفن ، فاهملوه ومسحوا اسمه من قائمة الشعراء الخالدين .

وكان كل ذنبه انه عشق الحقيقة وهفا الى الحرية وتطلع بلهفة وتحرق الى اليوم الذي تكتحل فيه عيون الناس باستجلاء نورها ، فكتب الاناشيد والقصاصد والاعمال الدرامية والمقالات السياسية والاجتماعية والنقدية من اجل ان يرشد الناس الى نور العلم السذي اهتدى اليه ، وان يستقيهم ولو بضع قطرات من شهد «الحقيقة» التي ذاقها فما كان من اعداء الحياة ومزيغي

الحقيقة الا ان يقفوا في وجهه ، يذفونه بسهام حقدهم ، فسودوا الصفحات في تحقير فنه وانتقاص شاعريته والطعن في اخلاقه . وكان اولئك الاعداء من ذوي النفوذ لسوء الحظ ، يدهم المال والسلطة والصحف والمطابع ووسائل النشر جميعا . فلا عجب ان يكون التوفيق من نصيبهم ، وان يفلحوا - ولو لفترة من الزمن - في تشويه صفحة حياته واطفاء بريق شاعريته ، واخماد نور فكره .

لكن تلك الصورة القاتمة لم ينج لها ان تلازم الشاعر طويلا ، فبعد سنوات من وفاته ، نشر اصداؤه المقربون (واغلبهم ادياء كبار سيرد ذكرهم في البحث) ذكرياتهم عنه ، فجلوا الصدا الذي علق بالمعدين النفيس ، واذا بالصورة الشوهاء تنقلب في لحظة بصر ، فيقلب شيلي بالفنان الملائكي والشاعر المعجزة والانسان المتصور ،

SHELLEY, His Thought & Work

عن كتاب

By: Desmond King - Hale

وامثال هذه الانقلاب الضخمة التي راح المحبسون له ولشمره يصفونها عليه ، وكان من هؤلاء المعجبين حشد متنوع من الناس فيهم العالم والفيلسوف والاشتراكي والليبرالي والمنطرف والمتفائل ، وكل من وجد في شعر شبلي ونثره تطلعا متلهفا الى تجميل الحياة ووصل النفوس ورفع مستوى العقول ، فلقد اراد شبلي ذلك كله وسعى اليه بكل جهوده ، ومات من اجله . ولا نطيل وانها تبدأ القصة من اولها ..



الطفولة :

في «فيلد بليس» من املاك عائلة شبلي ، والكائنة في مقاطعة ساسيكس ، ولد الطفل بيرسي سنة ١٧٩٢ . عرفت عائلة شبلي في ساسيكس لزمان طويل امتد قرونا ، بمرکزها الاجتماعي وراثتها . والمنزل ما زال قائما في مكانه ، مثلها كان ايام الشاعر . وهو يطل على منتزه جميل يزدهي بهجرتين تحف بهما اشجار البلوط والصنوبر والارز والكستناء في هيئة ممرات رقيقة منسقة في احسن نظام تتألق بينها مساحات من زهور ذات الوان بدیعة اشتهرت بها المنطقة دائما . وفي ايام الصيف خصوصاً المروج الناعسة ، وتنعمس في مياه البحيرة الصافية صور الزهور والاشجار وشرفات المنزل في منظر ساحر لا تله العيون .

وبيرسي هو الابن البكر لتيبوثي شبلي ، وله خمس اخوات اصغر منه ، واخ واحد . وقبل ان ينهي بيرسي اسبوعه الاول من العمر ، كانت الجماهير الهائجة في فرنسا قد اجتاحت (قصر التويلري) وقضت على الحكم الملكي . ثم تلت ذلك احداث ايلول بمذابحها الدامية في باريس ، فارتعب اولئك الساسة الانجليز المعتدلون الذي اظهروا تعاطفا مع الثورة الفرنسية في مستهل امرها وانتقلوا مع الساسة المحافظين ضدها .

في الوقت نفسه كانت حوى الثورة تنتقل من فرنسا الى بريطانيا ذاتها . مما دفع رئيس وزرائها : بيت Pitt الى ان يشهر حملته الاضطهادية الشهيرة ضد الثوريين والاصلاحيين وتمددت الاحزاب السياسية في بريطانيا وحدثت اشتباكات في حزب الاحرار الذي كان يدعى بالاصلاحي . ولم يفلح هذا الحزب في الوصول الى الحكم طيلة الفترة الواقعة بين سنتي ١٧٨٤-١٨٣٠ الا لمدة ١٤ شهرا . هذا الحزب بهما امره في هذا الحديث . ذلك لان تيپوثي شبلي ووالده بيشيه ، كانا منضمين اليه وفي اثناء سنة ١٨٠٦ كونت عائلة شبلي على ولاتها

لحزب الاحرار ، فتمسك ببشيه جد الشاعر رتبة البارونية وخلفه عليها ولده تيپوثي ابو الشاعر سنة ١٨١٥ . كانت سنوات الطفولة الباكورة هادئة راقية ، واعتاد بيرسي ان يقضي اوقاته مع اخواته الاصغر منه سنا . يسرد عليهن حكايات الوحوش المخيفة والاشباح المربعة او يسليهن بالعباب جامحة ذات طابع خيالي . وتصفه اخته هيلين - اقرب اخواته الى نفسه - قائلة : « انه دمث الخلق ، حلو المعشر منصف يفيض بهجة » . في تلك السنين الاول اعتاد احد القسمن ان يلقي على

بيرسي دروسا يومية ، وسرعان ما اثبت الصغير كفاءة خاصة اذ نظم مقطوعات شعرية ، وكتب مسرحية . ولما كان الجد المعجوز قد توسم في حفيده وبضات من غرابة اطواره هو ، فقد قام بطبع انشاج بيرسي الاول من ماله الخاص . اما الوالد تيپوثي فقد انصب اهتمامه على اعداد ولده لادارة فيلد بليس كاي سيد نبيل من اسياذ ذلك العهد . لكن بيرسي خيب امال والده اذ لم يبد ميلا خاصا للصيد والقنص ، وهما من اهم تقاليد الاسياذ وقتئذ .

الي هنا حياة الطفل تجري هائلة تحت ظلال الحنو العالي الوديع ، فكان يفعل ما يحلو له : يلعب ويتجول في الحقول ويقرا بهيم ويتحكم في وقته كيفما شاء بدون اي تحديد او تقييد .

الدرسة :

لكن سنة ١٨٠٢ غيرت مجرى حياته ، اذ ارسله ابيه الى المدرسة . وفي ذلك العهد كان النظام الصارم الجاف هو الطابع الرسمي للمدرسة الانجليزية ، فلم تطق نفس بيرسي المرهقة تحمل قسوة الاوامر وجفاف التعليمات وتناقض النظام المدرسي الجاد مع ميوله الرومانتيكية الجاهجة ، فانكمش وانطوى على نفسه داخل المدرسة . وكان اغلب تلاميذ تلك المدرسة من ابناء التجار او الحرفيين ، وربما كان شعورهم بالتمييز الطبقي انفض هو المسؤول عن هجبة معاملتهم بعضهم لبعض . وربما لم تكن تلك المدرسة هي المدرسة المناسبة لسبيل الاستقرارية الصغير . المهم ان بذور الاجتماعية والانتواء الذاتي قد ترسخت في نفس شبلي من ذلك الوقت وظلت تهيم على شخصيته حتى النهاية .

ولقد وجدت نفسه المنطوية الى الداخل - في تلك الفترة المبكرة من العمر - المتنفس الذي يحبها من الخود والانتفاء في روايات الرعب والاشباح المتجسدة في (الادب الغويطي) السائد في ذلك العهد ، والذي كانت السيدة راد كليف احسن ممثلة له ، لاسيا في

وهم معروفون بالزهد والصرامة . ولم ينته الامر عند هذا الحد . فلد قدم الى الجامعة الدكتور (جيمس لند) وبدأ يلقي محاضراته على الطلبة . كان «لند» عالما رحالة درس الطب في ادنبره بسكوتلندا . ورحل الى الصين كجراح في الاسطول البريطاني ، وقام برحلة علمية الى ايسلندا مع احد العلماء ، وصار فيها بعد طبيباً للعائلة المالكة في بريطانيا . وكان ايضاً متخصصاً في علم النجوم ، اذ كان صديقاً مقرباً للعلامة (وليم هيرشيل) الاختصاصي في النجوم وصاحب المرصد المشهور عند ايتون . ومن اصدقاء لند ايضاً : جيمس واط مخترع الآلة البخارية .

كان تأثير «لند» على شيلي اقوى من تأثير اي انسان اخر عرفه في حياته . فلقد كان شديد العطف على تلميذه الرومانتيكي ، يؤثره بالمودة والعناية . ولما كان شيلي في عهد صباه الاول ، وعقله مازال خاباً تام الاستعداد للاخذ والهضم والتبيل ، فان ذلك العالم الكبير وفق اعظم توفيق في صياغة عقل تلميذه صوغاً علياً ، حتى جعله يشعر بانه جزء من سلسلة في تلك الدائرة السحرية من العلماء المشاهير في ذلك الزمان . وما زاد في اهتمام شيلي باستاذ «لند» انه كان عالماً ثورياً يجاهر بآرائه السياسية ، ويملك مطبعة خاصة ، وكان الشك يحوم حوله في نشر الكراسات الثورية التي يصطحب رجال البلاط البريطاني على وصفها بالخرية . ومن وصفه : هوغ ، صديق شيلي المقرب : قال : «كان لند بالضبط ما يجب ان يكونه الانسان العالم . كان يفيض حيوية مع انه جاوز السبعين ، وكان حكيماً لكنه ثوري . وكان صافي الذهن وفي تلك المحاور العلمية التي كانت تستمرطولها ، كان اسم الناصر ولیم غودون "Godwin" يتردد اكثر من غيره وتناقش اراءه بحماس وحمية .

بعد تخرج شيلي في معهد ايتون ، انتقل الى الكلية الجامعة في اكسفورد ، واقام فيها . ويجد زائر قاعة هذه الكلية صوراً تذكارية لرؤساء الوزارات البريطانية المعاصرين لشيلي والذين تخرجوا فيها . لكنه لن يجد لصورة شيلي - اكبر شعراء عصره - اثرًا . ومع ذلك فان الكلية تلك نصبا تذكارية لشيلي . ولوقع هذا النصب ارتباطات علمية في المنزل الذي كان قائماً بهكان النصب عاش الكيماوي الكبير : روبرت بويل بين سنتي ١٦٥٤ - ١٦٦٨ ، وهنا اكتشف قانون بويل حول الضغط والكتلة . وما كان شيلي المنحس للكيمايا ليختار موقعا انسب لنصب التذكاري من هذا المكان .

وفي هذه البقعة ايضاً التقى شيلي لأول مرة بالطالب

روايتها الذائعة الصيت (خفايا ادولفو) ومن يومها اصبح شيلي متبرداً زمناً .

ولما كان طلبة الدارس على استعداد دائم للملاحظة غريبة الاطوار فانهم جعلوا من بيرسي شيلي هدفاً لمضايقاتهم الدائمة . فكانوا مثلاً يتعمدون ان يستقوا كتبه من تحت ابلة شبعين بذلك رغبتهم الصغيرة في ايدائه . وفي معهد (ايتون) الذي انتقل اليه بعد ذلك تعلم شيلي ما سيعرفه جيداً عن العالم الواسع فيما بعد ، لقد بدا يرى بصورة كيف تعاملت المجموعة الجاهلة ، الفرد المستنير الذي يحاول ان يرفض قيمها البالية التي تعارفت عليها ، حتى لو كان قصده مصلحتها هي .

في تلك الايام كان شبح الغزو يهدد بريطانيا . وكانت الدائرة الانتخابية لنيموثي شيلي ، الواقعة على ساحل ساسيكس ، تصلح ان تكون نقطة اتصال لجيوش نابليون . ولم تبعد (فيلد بليس) ذاتها عن الساحل الا بسبعة عشر ميلاً . ولذلك كان من حق عائلة شيلي ان تنقل لخط نابليون مثل بقية الانجليز . لكن معركة «الطرف الاغر» وضعت حداً لمخاوف الجميع وشعر ببرسي وهو في الثالثة عشرة من عمره ، بشعور زهو بين زملائه ، لانهم سمعوا ان خاله (جون بيلفولد) قام بتنفيذ بعض العمليات الحربية في تلك المعركة الحاسمة .

ملاح الشخصية :

ظهر (ايتون) درس شيلي الادين الاغريقي واللاتيني ، واثير فيها كفاءة وامتياراً . لكن ميله الشديد كان متجهاً الى دروس من نوع اخر ، ذلك ان العالم الموسوعي «ادم ولكر» كان يلقي محاضرات منتظمة على طلبة المدرسة حول مختلف المسائل العلمية فيلهب خيالهم بالخوارق العلمية ، وحين تخونه الوقائع الثابتة يلجأ بجرأة الى الخدس والتخيل . ولم يكن أي من تلامذته اشد تحملاً لانكاره من الطالب بيرسي شيلي . فقد كان لا يكتفي بحضور دروسه وانما يجري المزيد من تجارب استاذة ، حين يعود الى غرفته الخاصة حتى ولو ادت الى مخاطر شديدة . فقد صنع ماكينة كهربائية جرب عملها بمفرده ، وعمل ماكينة بخارية انفجرت ذات يوم . اما البارود والبالونات النارية فقد كان معتاداً عليها .. وكثيراً ما اصيب جلده بحروقات شديدة من تأثير الحوامض والمواد الكيماوية ، ولم تسلم ملابسه من لطف الحوامض . ولم يكف بذلك كله ، وانما كان يجري تجارب من نوع اخر . فكان يتج في منتصف الليل الى المقابر ليجلس هناك منفرداً .. لقد تعلم هذه الاشياء من القصص «الغوطية» التي طالما اعجب بها في عهد طفولته . هذه المسالك كانت غريبة وغير لائقة في نظر ادارة (ايتون) وهيئة اساتذتها . لاسيما

توماس هوغ الذي سيكون له صديقا بدى الحياة . كان هوغ ذكيا سريع الخلط ، ميلا الى الدعاية وذا استعداد دائم للنقاش في اي موضوع كان . وفي ذلك المساء ، لبث الشبان يتحاورون في الاديان الالائي والاطلاسي (الذين لم يكن لهما اي معرفة ، كما اعترفا فيها بعد) الى ساعة متأخرة من الليل .

كانت اكسفورد على عهد شيلي تطف في سبات عميق فلم يكن من هم لاساتنتها ولبهية ادارتها — سوى المشاحنات ، والنبيذ ، والنميمة .

وصف هوغ صديقه الجديد بيرسي شيلي بقوله : كان توامه تحيلا لكن عظامه تبدو ضخمة قوية ، وكان شابا طويلا لكنه لكثرة انحنائه يبدو اقصر مما هو . كان يرتدي اثنين اللابس واحدهما طرازا ومع ذلك فقد كانت متفصنة ، وملطخة بالحواض الكيمياوية ، وكالفت تصدر عنه ابياءات حادة وغير متوقعة لكنها مع ذلك توحى بالرشاقة والطف . اما ملامح وجهه فقد كانت حلوة ، وكان راسه صغيرا لكنه لكثافة شعره يبدو اكبر مما هو .

ومن وصف شيلي ، صديقه هوراس سبيت : قال (انه شاب وسيم ازرق العينين ، مظهره رقيق ، وملاحه توحى بالجد والتفكير) .

ووصفه الناقد الشهير هازليت فقال : «كانت بشرته رائقة ، وذات نمش ، ويبدو وجهه وكأنه يشف من نور داخلي » .

اما صديقه ليه هانت الناقد المعروف ايضا بقصده قال : (كانت عيناه واسعتين تتالق فيهما اندفاع حشوية) .

وتضاربت الاقوال في وصف صوته . لكننا يمكن ان نستخلص منها انه كان جميل الصوت حين يكون هادئا مرتاحا غير انه يصبح منغرا حين يستثار او يتهيج .

كان شيلي اثناء وجوده في اكسفورد قارئا نهما ، ولا يرى الا وفي يده كتاب طوال ساعات اليوم . وكان قد جعل من غرفته مختبرا كيمياويا يقوم فيه بالتجارب التي لا يأتي منها غير المصائب . ولما كان هوغ لا منه ميلا الى العلم فقد اضطر الى التخفيف من حماسه للتجارب ، وبدا يجد المتعة في التمشي مع هوغ في الحقول ساعات طويلا ، بتجادل بشدة حول الادب والدين والفلسفة ، وغير ذلك من الامور التي تثير اهتمام طلاب الكليات . وكانا يصبان اهتمامهما على دراسة فلسفة كل من افلاطون وهيوم .

التمرد الرومانتيكي :

عاد شيلي الى اهل في عطلة كريسماس ذلك العام فلم يجد لدى والده استعدادا للنقاش في قضايا الدين والفلسفة ، فقر رايه على فتح باب المناقشات مع الناس

المحيطين بأسرته . ولما ازعجه ما رآه من جودهم وصراة ارائهم في قضايا الحرية الفكرية ، راجع صاحبه هوغ ، وبينا امرا .

انصرف شيلي الى كتابة كراس صغير يدعو فيه الى ضرورة التحرر من قيود الكنيسة على الفكر ، والى النظرة الجديدة الى الخليقة واسرار الكون بعيدا عن تقييدات اللاهوت المسيحي . وقد افتتح الكراس بمقدمة قصيرة جاء فيها :

« لما كان حب الحقيقة هو الدافع الوحيد الذي حث المؤلف على كتابة هذا الكراس الصغير ، فانه يسأل مخلصا اولئك الذين يكتشفون اي نقص في تفكيره ، او يملكون الادلة التي لم يستطع عقله التوصل اليها ، يسألهم ان يقدموا ادلتهم مع اعتراضاتهم علنا وبإيجاز وبساطة ودقة ، مثلما سمح الكائنات لنفسه ان يفعل » . ووقع تحت المقدمة بقلب مستعمر . ثم اورد اراءه المقتبسة على الاغلب من فيلسوفه المفضل (هيوم) . واذا كان يعلم انه مضطر الى شدة الحذر في الاعلان عن ارائه التي تمس الدين ، فانه اعتقد ان مجرد اخفاء اسمه الحقيقي هو احتياط كاف . . ولانه كان صادقا في رغبته بصماع الراء التي تخالف اراءه ، متلفها لمعرفة الردود الواردة عليها فقد وزع نسخا من الكراس على جميع الاساقفة الذين يعرف عناوينهم ، وعلى كبار المسؤولين من ادارة الجامعة وبضمنهم عمداء الكليات ، فكان ان ادت به هذه السذاجة الى الدمار . ذلك ان احد الذين تسلموا الكراس «وهو الاساذ الذي يدرس الشعر في الجامعة ، كان رجل دين نشطا في الوقت ذاته فما كان منه الا ان يجبر رئيس الجامعة على التحرك بسرعة ، اجتمع مجلس الاساقفة واستدعى الشبان بيرسي شيلي ، وبدأ التحقيق معه . فلم يتوان في الاعتراف وبكل صراحة عن كتابته للكراس ، ولم تكن الجامعة باقل من حاسا في الاسراع بطرده من حرم الجامعة . وهكذا افلح مدرس الشعر في اكسفورد في طرد اعظم شعراء اكسفورد منها . وحين اعلن هوغ انه منوطر في الفعل ذاته كان عقابه الطرد ايضا .

كانت هذه الحادثة كارثة حقيقية ادت بشيلي الى المصائب . ولم يكن قد قضى في الجامعة اكثر من سنة واحدة . ويحق للانسان ان يتسائل عن السر في تمرد شيلي بهذا الشكل اثناء وجوده في الجامعة . وهل كانت اسرته مسؤولة عن ذلك ؟ الواقع انه كان مرتاحا في بيته رغم سوء التفاهم الذي بدأ يتق بينه وبين والده . فلقد كان سرا ما يفعل ما يشاء مادام في المنزل ، ولا مجال للاقاء المسؤولة على العائلة . من المسؤول اذن؟ لو التفتنا الى نوعية النظام الذي كان متبعها في المدرسة الانجليزية على عهد شيلي لوجدنا ان المدرسة كانت

فان صلته بهاربيت ما كانت لتصل الى ما وصلت اليه . وكان شيلى من جانبته راغبا في اعادة التفاهم بينه وبين ابيه ، لكنه لم يكن على استعداد لتقديم اعتذارات زائفة ولا التخلي عن حقه في اعتناق الآراء التي يراها ، وبالإضافة الى ذلك ، فان شعوره بالروابط العائلية كان قد تزعزع منذ ان اطلع على كتاب (العدل السياسي) Political Justice الذي ألفه وليم غودون سنة ١٨١٠ . وكان شيلى قد قرأ الكتاب سنة ١٨١٠ وهو مازال في آيتون ، فاعجب به اشد الإعجاب ، واستمر اعجابه به بعد ذلك لسنين كثيرة قادمة .

كتاب العدل السياسي :

كان هذا الكتاب قد اثار ضجة كبيرة في الاوساط الثقافية حين صدوره . فقد دعا الى مجتمع جديد ، مجتمع مثالي خال من الشرور السائدة في المجتمعات كالرياء والكذب والحسد والحق ، مجتمع يحقق العدالة الاجتماعية ويؤمن بالخير ويهدف اليه بالفعل وليس بالقول حسب . ولما كانت المؤسسات الرسمية في المجتمع البريطاني على عهد غودون (القرن الثامن عشر وأول القرن التاسع عشر) تنجح الى الاستغلال والظلم سلبا وإيجابا ، فقد صاب للفتاح عليها جميعا وطالب بالغاءها والتخلص منها . وقد رأى ان عبادة المال مفروسة في جذور اغلب اسباب الظلم ، ومن ثم فان اصعب واجبات المحلحين هو تجريد المال من جاذبيته في المجتمعات الاستغالية . ولما كان الاترياء يحتكرون الحكم والمال لانفسهم في كل البلدان فقد صار لازما على المصلح ازالة اسباب الثراء والاحتكار والتسلط والظلم بالتخلص من الطبقات الاستغالية ومؤسساتها التي تحكم الناس بها . كل المؤسسات دون تمييز . وانصب غودون ، من تلك المؤسسات ، (القانون) عداءه الشديد ، لانه اعتبره القانون مؤسسة شديدة التحيز للحاكم ، اذ يستغوثها لمقابلة من يسمونه من مجرمين قبل ان يحاولوا اصلاحهم وارشادهم الى الطريق المستقيم .

ويسخر غودون من التقاليد الاجتماعية السائدة في بريطانيا على عهده ، ويرثي لها . واشد ما كان يثيره ويفغظه فطوس الزواج واساليبه والمكسي التي تحدث للناس بسببه او باسمه . وراح يعلن دهشة واستنكاره لمظاهر النفاق التي تسود العلاقات الزوجية ويقول (كيف نتوقع من الناس الذين يخادعون انفسهم عن انفسهم يوميا وفي صميم تفاصيل حياتهم ، كيف نتوقع اذن ان يكون لهم احكام سليمة في الشئون العامة؟) .

يدعو غودون لمجتمع جديد ، فبعد الغاء كافة المؤسسات التي تساهم في استغلال الناس وخداعهم ، في سلسلة من الإصلاحات التدريجية ، سيمصبح الناس

تجمل من التقاليد المتزمتة البالية صنما محبوبا ، ولا شيء يمكن ان يغيظ حدثا مرفه الشعور رومانتيكي الزرعة حتى العظام ، اكثر من الالتزام الاعمى بالطقوس الجادة . ومنذ ايام دراسته في آيتون كان يضيئه الفئور الذي يواجه به زملاؤه التقاليد الصارمة البالية ، وكانت اوكسفورد لسوء حظه اشد محافظة من آيتون . واشد ما كان يزعجه طفيان العقوبات البدنية في معالجة اخطاء التلاميذ . فلا عجب ان يصبح شيلى متبردا زمنا لا دواء له .

وجد التلميذ المطرود نفسه مضطرا الى مصالحة والده ، ولم يكن هذا بالامر اليسير ، فقد وضع الوالد شروطا قاسية لا قبل له بتحملها . كان من بينها ان يبقى في البيت تحت رعاية مربين يشرفون على اعادة تثقيفه وان يقطع علاقته بهوغ غورا . ولما كان هوغ قد نال الطرد من الكلية من اجل صديقه ، فان شيلى رفض ان يرضخ لشروط والده ويبنها وكانت العلاقة بين الاب وابنه تتراوح بين الد والجزر ، كان الشاب الرومانتيكي يتورط في علاقة حب بفنائة حفساء اصغر منه سنا تدعى هاربيت ويستبروك ، تعرف اليها عن طريق اخوانه اذ كانت زميلة لهن في المدرسة . وكانت لمائلتها مثيرة اجتماعية متواضعة لا ترقى الى المستوى الارستقراطي الذي يناسب عائلته هو . ذلك ان اباها كان صاحب مقهى في شباه ، ولا يمكن ان يقال ان شيلى وقع في هواها الا انه في واقع الامر ارتاح كثيرا الى اندفاعها الشديد في تأكيد ارائها المتطرفة اندفاعا ادى بها الى اغاظة زميلاتها في المدرسة واغضاب مدرساتها ، اذ لم يعضن افكارها المتوحدة من تعاليم الفلاسفة الذين تتلمذ لهم صاحبها شيلى . وحين وصلت الأنباء الى ابيها حقق عليها واصر ان يبقيا في مدرستها لتتحمل سخرية زميلاتها واضطهاد مدرساتها المترخات اللواتي اعتبرن آراءها غير لائقة .

اندفعت هاربيت في لحظة من لحظات الياس ، ووضعت نفسها تحت حماية شيلى ليخلصها من قسوة ابيها . كانت ما تزال في السادسة عشرة من عمرها . اما هو فلم يكن قد تجاوز التاسعة عشرة . لقد ارست غرور الشباب عنده . وماذا كان بوسعه ان يصنع ؟ لقد اصطحبها الى ادنبرة بسكوتلندا ، وعقد زواجه بها ، اذ كان يسبح في تلك المدينة بزواج القاصر .

لقد ساهمت عوامل ثلاثة في دفع شيلى الى اتخاذ هذه الخطوة البهوجاء ، العامل الاول استنجاذ ففاعة ضعية به ، والعامل الثاني برود والده وقلة احتمالهم ظاهريا ، والعامل الثالث طباعه الجابحة وتهوره الذي عرف عنه دائما . ولو كانت اسرته قد احتضنته فور خروجه من اوكسفورد ، واسبغت عليه الرعاية والحنان

ومن الطرائف الأخرى التي نجدها في كتاب غودون،
اعلانه عدم جدوى النوم ، لان أحلام النوم تشجع
طغيان الأحاسيس والإهواء والنزوات ، وتلغى بذلك
سلطان العقل والحكمة ، التي هي غاية المجتمع المثالي
الكامل .

وفيها عدا هذا الكتاب فقد تأثر شيلي بكتابين آخرين
وهما :

١- حقوق الإنسان تأليف توم بين ، الفيلسوف المعروف
وقد صدر سنة ١٧٩٢ .

٢- حقوق النساء تأليف الكاتبة التحررية — ماري
ولستون كرافت وهي إحدى زوجات غودون (زوجته
الأولى) ، الفته سنة ١٧٩٢ .

— البحث صلة —

أحراراً هائئين بعيشهم . وبمؤنة الآلات الميكانيكية
ستتقلص ساعات العمل الى حد ساعتين يومياً ..
وسيعيش جميع الناس تحت ظل المساواة النبيلة
العادلة .

يعترف غودون انه أخذ كثيراً من آرائه عن الفلاسفة
والمصلحين الذين جاؤوا قبله . فقد تعلم من المسيح
ثم أخذ من جان جاك روسو وأفلاطون في جمهوريته .
أما عن (إمبراطورية الأحاسيس) التي يؤمن بها
الرومانتيكيون ، فقد أهملها غودون ، وأشاح عنها
بوجهه إذ اعتقد ان المحرمات اذا أزيلت فان الانفعالات
المنسوبة عن الحرمان والتي تشوه العلاقة بين
الجنسين (بحسب رأيه) سوف تندثر ، وان الدافع
الجنسي سوف يخبث .

القضية العربية

في

الستمر الكوبي

http://Archive.Sakhr.org

خليفة الوقيان

صدر
حديثاً



نشوء قطر ونظورها

دراسة تاريخية

الدكتور عبدالعزيز المنصور
الدكتورة فتوح المختار

* منشورات دار ذات السلاسل *



قصة
قصية

بسم : أحمد البشبيشي

سعادة بتحكم في تفكيري وخطوي حتى
يفيني النوم في أحلامه . ومضى بي
الحال على هذا النحو منذ وعيت الى
ان كانت تلك الليلة وقد اويت الى
غرائسي كعادتي تهددني تلك الرؤى
الاسطورية والمساعد الزئبقية
الغامضة ، وما هو غير حين تصوير
حتى وجدتها في احدى منامعات
الاحلام ، ولكنها تلك الليلة اتسمت
بطابع له من عبق الفائت ما مضى
بتحكم في مصيري .

رايتني وقد اردت الى الوراء
سنوات من عمري وقفت منها عند
مشارف الشباب في نضرة وفتوة وفي
اهاب من واقع حتم علي ان اضيف
بعدا لواقعي ، التمس فيه ما يؤنس
وحدي ويشاركني الحياة . وقد
تحقق لي ما وددت في امرأة دفعت
بها الصدفة الى عالمي .. وشدني
اليها شيء لا احسب ان احدا غيري
ينجذب اليه ، لم تكن رائعة التنسيق
ولا التكوين ولكنها كانت انثى وحسب
ارتاحت اليها نفسي واطمأنت .

ولانها مشاهد حلم ، فقد تهيات
على امتدادها اسباب الارتباط ،
وتتابعت الاحداث غاذا بنا انا وهي في
دار لنا وقد خلت الا منا ، واذا بالدار
في توال منظم تحتوي ابناء لنا الواحد
تلو الآخر ، واذا والحظ ييسر لي
بسات عريضة ، فينشط وضمي
وتعلو اسمي ويسمو فككري
ويتضاعف مالي ، فاودعه باسم
ابنائي ، موزجتي قيم عليهم ، تحسبا
ليوم علي بعد يوم على امتداده لي ..
ويدفعتني الى ذلك شعور دافئ الحب
في صفاء خالص .. وكان الزمن في
صحة ابنائي ، ولكنها هو في عجلة
من امره .. وامرهم اذ تنفخ فيهم
قدر الله تضجاً بقدر ما اردتد معه
الى انحدار ، فانتنتي عودي وخدبت
جذوني . فاشفتك على ما اصبح
ينتثر من رماذ عمري دون ان اقوى
على استجابه في عزلة اقيم بها ما
تهور من بنائي ، واذا بشريكتي ، التي
اعدت لها ولابنائي ما يحميم صنوف

ويشدني الى عديد من الرؤى السابحة
على اجنحة الحلم المتعلقة بالسرعة
الابل . وارقت انحصار الضوء اذتطبع
الشمس على قم الاق قيلة تودع بها
عمرا عاشته في اتساع مداه وكريسم
رحابه ، ثم لا تلبث ان يحتويها عالم
بعيد مجهولة ابعاده ، اسطورية
ملاحه ، زئبقية بمشاهده ، لا يسك
الواقع منها بطرف .. ويطوحني
الخيال بعيدا في منامعات او اجندي في
غبار موج لا اقوى فيه على العموم
فارتد الى واقعي ، وبذلك تتحدد
النهاية لتلك اللحظات الثابتة بعد ان
تكون قد اودعتني شخات لا اجسد
لها تعريفا وان كان يخللها شيء من
غيموض لا يحول دون شيء من

عديدة هي اللحظات التي نتطلع
فيها الى الاتاق البعيدة دون ما قيد
يحدد انطلاقاتنا في مجالاتها او يحد
منها . ولكنها عذبة جدا هذه اللحظات
اذ نحس فيها اننا قد تحررنا من
دوافع السمي ، حلوه ومرة اذ
يفرض علينا ليلاته ايا كانت
انعكاساته في نفوسنا وموانئه لما
نحب ونرعى .

وقد الفت ان تضمني سحابة
رقيقة من اطلال اليوم المولسي
ارجوانية خيوطها ، رقيقة جدا ،
ولكنها في تشابكها تشكل امام عيني
لوحة ما ابداع تعاريجها وما ازهي
الوانها اذ تعكس في خاطري احساسا
غريبا ساحرا يملك علي نفسي وفكري

تقلب كهذا ، اذا بشريكتي تذر
رماد عبري حنقات وحنقات ،
انساحها لجلال لها ودته اعرض ما
يتسع لثلي ، واني لثلي ان يتسع له
مجال وقد انشب اظفاره فيها خبا
نجه فتخلى عنه ، وتوارت شمسه
فارتكتفت منه ، وقد كان لي في التعلق
بخيوطها امل في حياة ولكن انحسر
عنى بريقها الا من ظل واهن اخواني
وقد شيعتني زوجتي عنده ، واوسعت
صدرها لانسائم اليوم ، متشوفة في
رقتها بشائر الغد ، لما انا قد امست
بقيا من انسان الامس ككسم ذراه
الاشراق تهايا اشلء ، لم تشأ زوجتي
لها ان تتناثر الا في اطار الظل الواهن .
وحتى الظل الواهن ابت رغم ضيق
اطاره ان يتسع لي ، فالفرغ اولي به
مني .

وهي لتأصل الشر فيها ، اخذت
تعرض على خصوصيات وعناد بين كل
من حولي وبيني . ملا هي ذرتني اجتر
ماضي ، ولا هي اعانتي على احتمال
وضعي والتسلية به ، وانا اخذت
ويا للغرابة تضاعف من ذرو المتبقى
من رمادي ، عن قصد ان تقضي على
الحفنة المتبقية مني . . واذا بلغها
الياس من القضاء على ودت لو الفت
بجسدي الواهن من عل . ولكن انسى
لها ذلك ، فالارتطام له وقع قد يثير من
حولها ضجة ، فجنبنت وتراجعت لاعت
انتفاء رغبة ، ولكن عن عزم تدبر له
الامر مع الايام حين يخلو الجو دون ما
رية تثار حولها . . وانصرف بكلمها
عنى . عن الكم الواهي الى ما اتاحه
لها الظرف من فرص استغلته في
شراة تشبع نزعات التحكم الكابنة
فيها — ظنا منها انه لم يعد هناك من
يشاركها الامر ، فاستبدت واستدارت
الى دنيا وقد غرأ منها وجه بدا لها
عريضة بسبته . . والمال مصارة
جهدي — انا الكم الواهي — اصبح
بين يديها كحبات الخردل يعجزها
عدها لو شاعت تحصيلها . . والتبع
بريق الامتلاك كله في عينها ، فلم
تعد ترى المتناثر بين يديها لوفرتها . .

ولكن خاطرا ازعجها ، بل هدها وهز
كيانها ، ان تنهت ان لها ابنساء
يشاركونها الكثرة الوافرة من مال وعز
.. اذن فقد حيل بينها . . وبين
امتلاك الذي تشد . . وهنا غشيت
عينها سحابة كثيفة حجب عنها
الرؤية تهايا ، وخبا بريقها وخساب
فمن الامل . . ولكن الشر المتاصل
فيها ما زالت منه سهام نافذة ، ولئن
انفرست منها سهم حادة في صميمي
فانئن عودي وتهور بنائي وتعثر
خطوي . . فلم لا تغرس سهامها في
ابنائها الواحد تلو الاخر او في
مجموعهم دفعة واحدة . . غير انها
لجأت في البداية الى الترغيب جذبا
لهم واجتواء لارادتهم ، وحين ردها
العجز عن بلوغ مرماها ، انذفت
ضارية تهدد وضعم بشروب شتى
من حرمان واذلال والوان من
التعذيب . . ولكن سهامها لم يشأ
لها عناد الإناء وامرارهم النفساء
فيهم وان مست جلودهم فحسب . .
واحصوا بوخزها ، ولكنه كان
الشرار التي اهدت الحقوة الخائفة
بها ايقل ضرارها واحاج فيها النار
التي اهدت الشفتين لتكويها . .
تطاردتها كلما ابتعدت وتبسك
باطرافها . . فخشيت على مطمح
غلبته على مطامح ابنائها جميعا .
بل مطامح الاسرة . . نعمدت ثانية
الى الحيلة تنصص بها حقدا غرسته
فيهم اناية اننى انكرت امومتها
وتنكرت لقدسها ما يربطها بزوجه ،
فبو وان قلته ايوهم ، فاقبلوا عليه لا
لاشفاق ولكن لسلطان الحق وقد
ايقل في ضمايرهم وشائج الانتفاء
الى صلبه ، فما هم الا بعض من
نسيجه ودفق عمره . . فاحسوا
اليه حندا يحولونه على جانحهم
ايارا لحقه وحقهم معه . . فهاها
الا تبلغ السهام مرماها ورومها ان
ما ودت ان تستقر عليه من عرش
تنهار كل دعائمه ، فلم يبق غير حق
لها كام لم يترك له احد من ابنائها
ولكن الاموسة — منذ التقت بي —

لم تكن غير معبر الى غاية ،
ما كادت تحس باتها بلغتها حتى
انسرب الامل من تدبيرها كله ،
ومرق من بين يديها ما كان يعجزها
عده من حبات الخردل وابصرت
حولها فلم تقع عينها على غير ما
انبعث من صميمها مظلما كالحصا
كطلمعها تهايا . . فجن جنونها ،
وتخلى عنها وعيها ، فارقتها كل
قدرة على الحيلة ، وامست كمن
يتخبط وقد اصابه مس من الجن . .
وداع امرها ، والناس بين مشفق
ولاثم ، اذا يرونها موهشة الشعر
جاحظة العينين ممزقة النفس والرداء
وقد خالطت لغتها لكلمات غريبة في
عويل كالهدير وصخب الريح تشق
سكون الليل اذا جن واشدت سواده
فتبلا الجو رعبا وخوفا وهلمسا
تنذر بالشوم والخراب ، واصبح
للناس العذر اذ سموها البومة . .
حتى كانت لحظة ، وكنت قد تكومت
في ركني كمداتي واهنا لا اقوى على
حركة ولا حتى على بسمة عابرة
حين رايتها وقد اقبلت علي بهيئتي
تلك المجنونة ، فابا في نظرها منبع
حقدها وهياجها وانسرب الامل
من حياتها . . واذا بها وبسرعة
تكاد تسابق الريح بها تحطلي السى
نافذة البيت وقد فطحها على
مصراعها ، وتذقت بي من علو
شاقق واذا ارتطم جسدي بالارض ،
ايظني وقعه ، وصراخ عال ينبعث
مني ولقيتني ملقى على الارض
بجوار الفراش . . اذ تحسست
نفسى انفت الى واقعي . . ومنذ
تقطعت الاسباب بيني وبين تلك
اللحظات الثابتة التي الفت السبوح
في مجالتها . . والان هل في حياة
احكم زوجة كزوجتي هذه . . رغم
انني قد اضريت عن الزواج تهايا
بثأير ذلك الحلم ؟
واذا عن لكم ان تسالوا ، فارجعوا
الى ذات الحلم فيه وحده يكمن
السر .

احمد البشريشي

شاعران وقصائد

من الشعر الاباني

بمقام : محمد موفناكو

ARCHIVE

● **أولا :** □□□□□□□□
Ibrahim Kadriu **ابراهيم قذري**

(١٩٤٥) له الى الان عدة مجموعات
شعرية وقصصية متنوعة :

- ليلالي الجبل الاسود ١٩٦٩
- مدينة الزهور ١٩٧٠
- الربيع يتطلع عبر الرابية ١٩٧١
- شيء ما يحدث ١٩٧٢
- قضاء ١٩٧٧

وفي هذه المجموعات لا تسيطر
على ابراهيم قذري الاهتباكات
الراهنه لجبله فقط ، بل ويتوجه
ايضا الى الاطفال ، الى جيل
المستقبل ، ومن هذا له مجموعة
شعرية «مدينة الزهور» ومجموعة
قصصية «الربيع يتطلع عبر الرابية»
وربما تعتبر قصيدته « شيء ما
يحدث » ، المأخوذة من ديوانه الذي

عمره (راجع دراستنا «هوية للشعر
الاباني في كوسوفا» في البيان

الكويتية عدد ١٢٩ — ١٩٧٦) اذا
ما قورن بالحركة الشعرية في المحيط
الذي ترعرع فيه ، الا انه قطع
في ثلاثين سنة ما قطعه الآخرون في
ثلاثمائة سنة تقريبا ، حيث تطور من
شعر رعوي الى ذلك الذي تتداخل
فيه اخر اتجاهات العصر . وهذا
يبدو ، بشكل خاص ، في شعر الجيل
الذي ولد وترعرع في مرحلة ما بعد
الحرب العالمية الثانية ، والذي
انتقينا منه شاعرين يعبران عن
اللحظة التي وصل اليها الشعر
الاباني في كوسوفا على يد هذا
الجيل :

في الشعر الاباني لدينا اتجاهان
رئيسيان ، ينبع افتراقهما من كونهما
يكتبان في ظل تجربتين متميزتين ، من
الناحية الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية ، تحضن كل منهما نصف
الشعب الاباني تقريبا . هناك اولاً
البانيا التي يحمل فيها الشعر
الاباني تأثيرات متعددة من المحيط
الاجتماعي والايدولوجي ، وبالتالي
يحل سمات محددة في اطار الشعر
الاباني عامة . وهناك ايضا كوسفا
Kosava التي هي اليوم في اطار
الرابعة اليوغوسلافية ، التي اخذ
فيها الشعر الاباني ينمو في اتجاهه
الخاص ، بتأثير التجربة الحياتية ،
المختلفة عن تلك الابانية ، التي
يعيشها الابانيون في كوسوفا .
ومع ان الشعر الاباني فنى في

يجل ذات العنوان ، من ابررز
قصائده التي تعبر عن تواصله بها
يجري حوله ، حيث لا يكتفي بالتاكيد
على ان هناك «شيء ما يحدث» في هذا
العالم ، بل ويشير الى تلك القوى
التي تحرك ما يحدث ، تلك التي التي
تتحرك في الليل الذي اخذ بهاجم ..
انه يقودنا الى ان نتعرف الى «أكلة
لحوم البشر» الذين اخذوا يخرجون
ثانية .. من اعماق الارض .. وبهذا
يقودنا معه الى ان «نبصق في وجه
هذا القرن» ، بما فيه من علاقات
تسمح لهؤلاء ان يظهروا ثانية .. انه
بهذا يؤكد مقولة بريخت : «انتهوا
.. ان البطن الذي اتجب الفاشية
ما زال خصبا ..»

شيء ما يحدث

اللبل يقرع
يتكلم بلغة الدم
يتحسس الجلد المسلوخ
يتطلع الى الطرق المسروقة
يعانق حصون الحب
يركل الراكعين
اللبل يهاجم ..

شيء ما يحدث
هناك الطاعون يحتفل
هناك المجاعة تاكل المسلة
هناك الابل يضع اكليلا
هناك المعاناة اصبحت حاملا
هناك تليت الصلاة الاخيرة
هناك ..

شيء ما يحدث
نبصق في وجه القرن
الذي يوزع فيه اللبل العالم الى مناطق
والى ارضة دائمة
الذي يشعل فيه البعض ما فيوسمه
الشعور (1)

والذي يريد فيه البعض ان يكون
بوفا ..
ولتسمع الجثث ..
اننا نبصق في وجه القرن ..

شيء ما يحدث
ليسامحنا الربيع
لان لونه اختلف
لاتنا جرحنا زهوره
بجوع ونماء النهار
لتسامحنا الطيور
لاتنا اخفنا اصواتهم
ثشفاء الجروح
ولاطالة الصبر

شيء ما يحدث
ايه .. ماذا تعرض الصحف
الزينة بالدم
جمرات في ايدي المارة
جمرات في الواجحات وفي الميون
جمرات على الارض ، على الصدر ،
والسفرة
فتأخذ اللمنة طريقها
على اكتاف اللبل والنهار

شيء ما يحدث
ايه .. اي شعلة يتأبط الزمن
عبر مهود الرضع
عبر صدور الامهات
عبر حدائق العشاق
ايه .. اي شعلة يتأبط الزمن

شيء ما يحدث
في البيض الابيض
تذبح الحمامة المسروقة
هناك

فعلا شيء ما يحدث
الدم يحتل الاتهار
وفي البيت الابيض
احتلوا بالصلص

الذي تركه الشعراء دون قبر ..
هناك
فعلا شيء ما يحدث
الامعاء ترتصت للجل
لتطلب دواء للحياة ..

اليوم
لا استطع ان اشاهدك ابدا
حيث ان عيني قد انطفأتا
من قراءة عناوين الصحف ..
اليوم
دعيني هادئا
لاتني فقدت وزني
في سماء الطيور الغائمة
التي تلعن
اولئك الذين احتلوا طرق السماء

شيء ما يحدث
اليوم
اتركيني ، دعيني هادئا
لاتني في خصام مع الزمن
أكلة لحوم البشر يخرجون ثانية
من اعماق الارض
لذا .. اليوم
اتركيني ، دعيني هادئا
لاحقد على صفحات التاريخ
الذي خلف لنا على الجلد للذكرى
لهذه الايام

شيء ما يحدث
شيء ما يحدث

● نائيا : □□□□□□□□
Ymer Shekrel
(1965). له الى الان مجموعات
متنوعة :

— القمر يذهب كمروس 1999
شعر للاطفال
— يوميات لص 1970 شعر
— اميرة دو كاجيني 1971 شعر
— اعد لي ربيعي 1972 قصص
للاطفال

الجلاد

ذلك الرجل
يعرف جيداً رؤوسنا
اذ يقبسه بالنصل
نعم انه رجل
يعرف جيداً رؤوسنا
وليس في وسعه ان يرى راسه ..

وصية ولكن ليست للكتابة

خذ حفنة من تراب
وازرع في قلبك قلباً آخر
اقطع راساً
(كراسك مثلاً)
وازرع فيه غصناً
لتهبط عليه عصافير القفص
ليحمل كل منها أغنية على منقاره
وحياة في عينيه
ووعداً ..
خذ قلباً
وازرع فيه عالماً للحب
وعالماً آخر
ولكن
ليكن أفضل من هذا



محمد موفاكو
برشتينا — يوغوسلافيا

نحن

نحن
عبارة عن يتامى بقينا
ولدى كل واحد منا درب في يده
الا اننا لا نعرف اين نتوجه
اتحو لساننا او قلبنا ..

قافلة

الاول فيها ميت
والثاني متعفن
والثالث منقل بالهموم
والرابع محترق
والخامس متحجر
والسادس متجذر (١)
والسابع متفسخ
والثامن متخضر
والتاسع راكم
والعاشر ممتشق
والحادي عشر كذلك ميت ..

دون جسد

مثل هذه الزهرة
التي ماتت في زهرة اخرى
مثل هذا اليوم
الذي تبعثر فيه الليل
مثل هذا الاثر
الذي لا يعرف خطوته
مثل هذا الطريق
الذي ليست له نهاية
مثل هذا القمر
الذي يغير لون البحر
مثلي
اصبحت مع انها لا تسمع

— الفجرية ١٩٧٤ ' شعر
— رجل في نذب ١٩٧٥ رواية
— امير الجبال الملعونة ١٩٧٠
قصص للأطفال
— احتراق ١٩٧٥ شعر
— الموت في هواء صاف ١٩٧٦ رواية
— الثلاثية الايليرية ١٩٧٧ مجموعة
درامات .

ومع اشعار عمر شكريلي ننقل
الى عالم آخر ، الى عالم تتوزعه
هيومم الداخل والخارج ، هبوم
الانسان التي توحد ما بين هذين
القطبين ، والتي تجعل اشعاره
تطلق خارج الخارطة الضيقة . ومن
الضروري ان نشير الى ان اشعاره
التالية مأخوذة من ديوانه «يوميات
لص» ، ذلك الذي اراد به يوميات
او وقائع الماضي البائس فسي
يوغوسلافيا ، ليشير الى عنف ذلك
الماضي ونهبه للانسان وما خلفه لنا
من اشلء انسانية . ان عمر شكريلي
بابتعائه لهذه الاشلاء الانسانية ، لا
يريد ان يسترجع صور ذلك الماضي
للذكرى فقط بل يريد ان يشير الى موجة
«الحنين الى ذلك الماضي» التي تبدو
هنا او هناك ، ليحملنا اكثر بقلعة
واستعدادا لمخامة العودة الى ذلك
الماضي الاسود .

قال رجل في وقت ما

العالم بدأ بلبيب القار
وبالتار سينتهي
وبين الالبيب والتار
يجد اولئك للحياة معنى
واولئك الذين لم يقولوا شيئاً
يكفرون بطعيم كلماتهم بالحب
قال رجل في وقت ما
ان العالم بدأ بلبيب القار ..
ومن هنا على ما يبدو
نحب بهذه الحرارة ..

(١) متجذر : من الجدار ، وهنا يشير الى ما حل بالانسان



الطبعة

فصلت بستان : فحطان محمود اعدي

— لو غاز عرام ، وان شاء الله
سيفوز فيسكون نصيبي حوالى
التسعين .

— ولو خسر ؟
— سأخسر المبلغ طبعاً .
— هذه مقابلة صرفة .
.....
— ماذا تطعم ديتك ؟

— مصارين الغنم المفرومة جيداً ،
والسبك .
كزيت بوجهي . قال مبتسماً :
— لو غاز اليوم سادعوك الى
» الفارابي « .
— ما ...
قاطعني :

بارزة مغطاة بطبقة صفراء من الكلح .
قلت :

— اينك اسمه عرام ؟
ضحك ثانية ، استغرق في
الضحك . ربت على كتفي وهز
رأسه نفياً :
— انه ديكي .. كلهم يعرفونه ..
هؤلاء » الملاعين « .

— منذ متى وانت تبارس تدريب
الديكة ؟

— منذ زمن .
— وهل تريح كثيراً ؟
قبل ظاهر يده ورفعها الى فسوق
مكتفياً بذلك .

— كم تريح في كل معركة ؟
— حسب الرهان .
— اليوم ، مثلاً ؟

واصر على أن يصطحبني معه ،
رغم توسلاتي اليه بعدم الذهاب
متظاهراً بارتباطي بوعدهم ، وحين
اذعنت بدت على وجهه علامات
الارتياح . اخترقنا » طريق المشرق «
باتجاه السوق . قال لي وهو يفرك
راحتيه مملّذاً :

— ستراه بعد قليل يا استاذ ...
سترى شجاعته .

— لا احب صراع الديكة .
قال وقد رفع حاجبيه كملامتي
استغراب :

— ستألف ذلك طالما انت جاري .
لصق عطفة الشارع استقبله جمع
من الصبايا بالهتاف : » ابو عرام ..
ابو عرام « نظرت اليه . ابتسم ،
ضحك ، وضحكت معه فزرس امامية

— على حسابي .. وحقق لن
تضر فلسا واحدا .

— لا أستطيع .

— لا تذكر فرحتي بك وبجرتكم
الجديدة .. ارجوك

.. . . .

— انتقنا ؟

— انتقنا .

تحلق حشد كبير حول حلبة
الصراع ، وكانت السواق تموج بكل
بشرية مضطربة . أغلق البامسة
محالهم . أولا ، صعد جاري السى
حلبة الصراع يحمل بين يديه عرابا،
وكان الريش يكسو جسد الذيك تماها
وقد تداخلت ألوانه المواجهة تداخلا
هارمونيا بدعيا وتهدل عرفة الأحمر
للبيسر كتاج مائل على راسه ، لبث
جاري يمسد ظهره الناعم براحته ،
ثم رفع رأسه ودار بعينه حول الدائرة
البشرية المقلقة واستطاع أن يلحظني

ابنهم ثم هز رأسه ورفع يده السى
السواء كمن يبتهل . ابتسمت في
وجهه وتبنت بكلمات فيها لغسط
الحشد . ومن الجانب الآخر ، صعد
ثبة خصمه يحمل ديكا املس الرقبة
طويلها ، يشع من عينه الشهباوين
الواسعتين ثمر مستطير وهما تدوران
حول محجريهما ، وكان يبدو اكبر
حجما من خصمه عرام وعلا صياح من
الحشد المكتظ : « صغيان .. اريدك
اليوم .. وجبة دسمة يا عتتر .. »
أدرت وجهي وسألت الشخص
الواقف يساري :

— صغيان هو الذيك الاصلع ؟

— أجل هو ، وعرام خصمه
الجميل .

— وانت على من تراهنت ؟

— على عرام طبعيا .

ثم اردف وهو يمسح العرق
المقصود من جبينه بمنديله :

— وانت ؟

— انا ... انا عليه طبعيا ..
وثب علي وقبلني ، فلم أر مغرا من

تقبيله . قال :

— اذن شجعه معي .. وستكسب
بائن الله ...

في مبدا الامر دار عرام حول
الحلبة في محاولة لاكتشاف طريقة
خصمه المراكية . مط جناحاه
اليسار فانفترقت قوادمه كمروحة
امراة برجوازية وتقلصت رقبته ونفر
الريش فوقها مفرقا متوترا . ومن
الجانب الآخر ، ثبة ، نشر صغيان
جناحيه الى الجانبين مختلا كما يبدو
بقوته وممثلا بالتحدي . والتحم
الخصمان نقرا ونهشا وحشيا لسم
اشهد له مثيلا بين خصمين من قبل ،
وبدا عرام انشط وهو يواصل القفز
وتسديد النقرات المبهضة على قذال
صغيان .. ومرت دقائق بدا صغيان
اثرها منهك القوى وقد شخب الدم
من راسيهما بغزارة . بقتة ، سمعت
صوتا تبيحا يند عن قرب :

— انقا عني يا صغيان . مرقه .
اجابه آخر .

— بل نترق صاحبك .
وتطورت المصاداة الكلامية المراك

اوشك ان يقع لولا صعوبة الالتحام
جراء الزحام الشديد .

واخيرا سقط صغيان في حين تركه
عرام اما رافة به او لملبه الاكيد بانه
قد اجاد انهاء المهمة المناطة به .

التفتت جاري بعد اسبوع وقد ران
عليه تلق عجيب قال بنبرة حزينة :

— عرام مريض .
اشعلت له سيطرة . نولتها اليه .

غزها بين شفتيه . قلت :

— ماذا حل به ؟
قال وهو ينفث الدخان بحركة :

— اثر المراك الاخير مع «كلاي»
ابتسمت . قال بأسى .

— الخطأ كان بسببي .
— اي خطأ ؟

— اطعته قبل المراك .
— وبعد ؟

— رأسه ينزف .
— مسكين .

ضرب كما بكف ونفخ حسرة كرياح
تهبوز :

— شرتني بمائة دينار .
— ستعوضها ان شاء الله .

— مبلغ ضخم .. أه .. الكلب ..
كان بوسعه صرع كلاي لكنه تهادى .

— داوه .
— لا فائدة . الجرح عميق .

— واين هو الآن ؟
— في قته في البيت .

— وماذا ستفعل ؟
— اتخلص منه .

— ماذا تعني بالضغط .
— هذه طريقنا . ننقله .

اندششت وأدأت بي السدنيا .
قلت :

— اهكذا اذن ؟
— ينفض رماد سيكارته ويواصل

مطرقا :
— قلت لك لا فائدة . سابت عن

ديك آخر .
— لكن هذا لا يبرر قتله .

نظر الى ساخرا ثم قال وهو يلوي
مفارقا :

— طيب كما تحب .

في ظهيرة اشعلت الشمس نهبها
نارها فوق جثة الشارع المسفلت كنت
اغذ الخطى باتجاه البيت عائدا من
عربي . طرقت الباب ففتحته ابنتي
الصغيرة ثم تعلقت بيايبي . قالت
بنبرة حزينة وقد تداخل جناها الى
تحت :

— بابا ... مات عرام .
احسست فجأة بدوار ماجس .

توجهت الى سريري والقيت بجسدي
فوقه . تبعتني ، ثم قالت وهي تعبت
بشعر رأسي :

— قال ابن جيرانا ان اياه قتله .
لبثت احققي في المروحة التي تدور

في السقينة ...
وللحظات جاء صوت زوجتي قاطعا

كالسيف :

— الغداء جاهز يا «أبا وجدان» .
قططان محمود السعيد



الخييل والأبل في شعر المتنبي

بقلم: السيد مصطفى كاظم المدامغة

واختص الشاعر بوصف مواقف القتال في زمن كانت عدة الحرب فيها رباط الخيل تحمل الفوارس لتصل وتجوّل بهم في ميدان المعركة وخلفها الأبل تحمل على ظهورها المؤن قادمة بها عبر المسافات البعيدة قاطعة المفاوز والصحاري ، والمتنبي عرف الحرب وخبرها فقد صاحب بمسدوحه سيف الدولة في بعض غزواته وتبناها وهو صغير شاهد الفرامطة وهم تقوم

يقول ابن الأثير ان أبا الطيب المتنبي قد حظى في شعره بالحكم والامثال واختص بالإبداع في مواتف القتال وهذا هو الانتطباع السائد عن هذا الشاعر العظيم لدى انصاره وخصومه غير ان الكثير منهم خصوه بشاعر الحكمة واهلوا تعلقه بالخيل والأبل وإبداعه في وصفها وذكر انواعها واعضائها والوانها وطرق سيرها وما يستعمل لها من ادوات .

وصفه للمدحون بصفات الخيل

ويستأنك الجباد وما تحيل من سمهية سمراء
ولقد افنت المساور خيلي
تقبل ان تلقني وزادي ومائي
يقول لمدوحيه ان نزهتك هي الجباد ويقول من
نفسه انه قطع مسافة طويلة اعلكت خيله .
ومن ركب الثور بعد الجواد
انكسر اظلاله والغبب
نجل لمدوحيه جوادا ومن لقبه بعد ثورا .
عجبا له حفظ العنان بانمل
ما حفظها الاشياء من عاداتها
لو مر يركض في سطور كتابه
احصى بحافر مهمره ميماتها
يضع السنان بحيث شاء مجاولا
حتى من الاذان في اخرائها
نكبوا وراكب يا ابن احد قرح
ليست قوائمه من الاتهام
كرم تبين في كلامك مائلا
ويبين علق الخيل في اصواتها



يصف بمدوحيه بالفروسية فجواده يطاوعه في جميع
حركاته فلا يضع حافره الا حيث شاء وانه من الحنق
في الطعن بحيث يضع راحه في ثقب الاذن (الاخرات
جميع اخرت وهو اللتب) وان خيل اعدائك وهي قرح
(جبع قرح) وهو الجواد في اوج قوته لا يمكنها للحاق
بك لان قوائمه لا تصلح ان تكون الات لها للحاق بك .
ويمدح سيف الدولة واسمه علي فيقول
اول حرف من اسمه كتبت
سنايك الخيل في الجلايد
نشدة وتغ سنايك الخيل على الصخور كانت تطبع عليها
انرا يشبه العين في استدارته ونراغ وسطه .
قال وقد ساله سيف الدولة عن وصف فارس يهديه
اليه :

موقع الخيل من نذاك طفيف
ولو ان الجياد فيها السوف
ومن اللفظ لفظه تجمع الوصف
وذلك اطهم المعروف
ما لنا في التدي عليك اختيار
كل ما يمنح الشريف شريف
ويمدحه ايضا

حذار لمروري الجياد فجاءة
الى الطعن قبلا ما لهن لجام
تعطف فيه والاعين شمرها
وتضرب فيه والسياط كلام

اهل حرب يهاجمون سكان الكوفة على خيولهم وينشرون
الربع فيها مما اضطره الى الهجرة للبادية .
والمتنبى كان دائم الترحال غير مستقر على حال
يقصد المدحون ممتليا صهوة جواده او ظهر ابلسه
وقد تنقل ابتداء من الكوفة حتى حلب ومنيح وانطاكية
واللاذقية وطبرية وطرابلس وطرسوس ودمشق والرملة
ومصر والعراق وفارس حتى وصل الى ارجان
وشيراز .

لذا فان الابل والخيل كانت اكثر ما تقع عين
الشاعر عليه ، ولا بد له ان يذكرها في كل موقف حزين
وتوجع وفخر ومدح وذم مستوحيا طباعها ومزايهاها
ومساوئها في تشبيه بمدوحيه بها .

ومن يضمن في شعر المتنبى يجد انه لا تكاد تخلو
قصيدة من قصائده من ذكر الخيل والابل وقد جمعت كل
ما قاله المتنبى فيها فاستخرجت منه هذا البحث بعد ان
صنفته مواضيع معينة مختصرا شرح بعض المعاني
الدقيقة التي تخرجنا عن نطاق الهدف الذي قصده ان
توسمنا في شرحها مع شرح لبعض الالفاظ الغريبة
لتوضيح المعنى الذي قصده الشاعر معتبدا على ادق
الشروح واشهر الروايات تاركا لكثير من الإبيات التي
جاء فيها ذكر الخيل والابل مجردا من وصف معين لها
خوفا من الاطالة والملل .

وما تنفع الخيل الكرام ولا القا

إذا لم يكن فوق الكرام كرام

فسيف الدولة في الإبيات الثلاثة الأولى عطايه كثيرة بحيث أن ما اهداه من الخيل بالقياس لها نزر يسر وفي الإبيات الأخيرة أن سيف الدولة إذا دعاه داعي الحرب لا ينتظر حتى تلجم خيله ليركبها وهي عارية من سروجها .

وصفه للخيل

وصف المتنبي الخيل بما أحتوته من اعضاء وصفات واصوات في معرض المدح والذم والمناجاة فالجواد مركوبه وهو رفيقه في النقل ولعل في الإبيات التالية ما يمكن للباحث أن يصف الخيل بألوانها واعبارها واطرافها وصفاتها الأخرى :

وتردى الجياد الجرد فوق جبالها

وقد ندف المنبر في طرقها العظبا

فمن الخيل — الجرد — وهي تقصر الشعر وهذا من علائم المتق والكرم في الجياد .

نكبوا وراك يا ابن أحمد قرح

ليست قوانينهم من الاتهام

والقرح من الخيل هي التي بلغت من العمل خمس سنين وتكون في أوج نشاطها وتوتها .

وقبله انكر المات على

غير سروج السوايح القود

فصبتهم رعالها شزبا

بين ثبات السي عبايد

والقود الطوال من الخيل والرعال جمع رعله القطعة من الخيل والشرب جمع شازب وهو الضامر منها .

مزرت على دار الحبيب فحجبت

جوادي وهل تشجو الجياد المعاهد

وما تفكر الدهماء من رسم منزل

سقتها خرب الشول فيها الولاند

وتحدني في غيرة بعد غيرة

سبوح لها منها عليها شواهد

وقال حجبت جوادي فالعرب قالت فرس جواد للذكر والائى والدهماء يعني بها السوداء

يدمي بعض أيدي الخيل بعضا

وما بمعاينة اثر ارتهاش

واسرحت الكميت فناقلت بي

على اعقاتها وعلى غشايش

والمعاجة عصية في اليد فوق الحافر والكميت من الخيل ما كان بين الاشقر والادهم واعفت الدابة انفق بطنها للحبل .

وكان له مهر اسمه الطخور قال يصفه

رحب اللبان نائه الطرائق

ذي منخر رعب واطل لاحق

لو سابق الشمس في المشارق

جاء الى الغرب مجيء السائق

ورحب اللبان — الواسع الصدر — والاطل اللاحق الخاصرة الضابره

ويصف فرسا له

فوق شقاءه للانشق مجال

بين ارساغها وبين الصفاق

ما رآها مكذب الرسل الا

صدق القول في صفات البراق

فتراه لكثرة ركوبه وتبرسه في معرفة الخيل كيف يستدق وصفه لفرسه فهي شقاء وهو مؤثق اشق ويقال فرس اشق اذا كان رعب الفروج طويل القوائم والصفاق جلدة البطن .

ولا ينسى المتنبي انواعا خاصة من الخيل تتخذ للنسل دون الركوب .

من يعرف الشمس لا ينكر مطالعها

او يبصر الخيل لا يستكرم الرما

والرما جمع رمة وهي التي تتخذ للنسل دون الركوب — ولم يكن في زمن المتنبي وسيلة للنقل اسرع من الجياد لذا بانه وصفها بخوارق الارض التي تقطعها فتبلغ اقصاها .

فاتتهم خوارق الارض ما تحمل الا الحديد والانتالا

خافيات الألوان قد نسج النفق عليها براقعا وجلالا

ويمدح فيقول :

هو الفني المذاكسي والاعادي

ويبق الهند والسمر الطولا

والمذاكي هي الخيل المسنة وتراه لا ينسى اللجام والسرج وكافة ما يستعمل للخيل فيقول :

فقيست الابل في الجبال

طوع وهوق الخيل والرجاء

والهوق جمع هوق وهو الجبل تؤخذ به الدابة وغيرها ويقول في وصف السفن وهي محملة بالسبايا التي جلبتها الخيل مشبها تلك السفن كانها خيل بلا قوائم :

وحشاه عادية بغير قوائم

عمق البطون حواكك الألوان

تاتي بما سبت الخيول كساتها

تحت الحسان مراض الفزلان

والضمير في حشاه للباء الذي يحمل تلك السفن . وللخيل جمال في الشكل في وتونها ومسرها وعدوها — والمدرية منها تتخذ الوضع المناسب في

اللحظة المناسبة كما يريد الفارس عند القتال
لأنها المعروفة :

تتمنى على قدر الطمان كاتما

مفاصلها تحت الرماح مرادود

محرمه اكفال خيلي على القنا

محلة لجابتها واقلائد

والمرادود حديدية تدور في اللجام وهو يشير الى ان
مفاصلها تهيل عند الطعن مع الرماح وتستدير كالمرود
مع حلقته كيفما ادبرت والاكتفال هي الاعجاز واللبات
اعالي الصدور ، ويشير المتنبي الى براعة الخيل وذكايتها
عند المعركة في قصيدة اخرى :

قاد الجياد الى الطمان ولم يقد

الا الى العادات والاطمان

كل ابن سابقة يغير بحسنه

في قلب صاحبه على الاحزان

ان خليت ربطت باداب الوغى

فدعاؤها يغني عن الارسان

في جفئل ستر العيون غباره

فكاتما ييصرن بالاذان

ويقول ايضا في وضعها عند الطمان ..

لاتركن وجوه الخيل ساهمة

والحرب اقوم من ساق على قدم

والظمن يحرقها والزجر يلقها

حتى كان بها ضريا من اللهم

قد كلمتها العوالي فهي كالحمة

كانما الصاب معصوب على اللجم

واللهم ضرب من الجنون .

والخيل تعيس اذا اقتدمت الى ساحة المعركة فهي

تعرف بما ستلاقي من احوال في الكر او الفر :

طربت مراكنها فخلت انما

لولا حياء عاقها رقصت بنا

اقبلت تبسم والجياد عوابس

يخبين بالحاق المضاعف والقنا

عقدت سناكبها عليها عشيرا

لو تبتغي عنقا عليه امكنا

والعنق ضرب من السير ومثله الخب .. فهي

لطول سيرها عقدت سناكبها غبارا كثيفا لو تطلب

السير عليه لامكنا .

يقول لي الطبيب اكلت شيئا

وداؤك في شراك والطعام

وما في طبعه اني جواد

اضر بجسمه طول الحمام

تعود ان يغمر في السرايا

ويدخل في قمام في قمام

فامسك لا يبال له غيرعى

ولا هو في العليق ولا اللجام

والخيل التي اجبرت على الراحة دون القتال

تقتصر حركتها والجام الراحة فيصنف المتنبي نفسه انه

كالجواد الذي امسك لا يرخى له الطول غيرعى فيه

ولا هو في السفر يفتفت من العليق ..

واذا وقتت الدابة ولم تتحرك فانها مصابة بداء

الحران وهذا لا يكون في كرام الخيل التي الفت موافق

القتال

طبت فرساننا والخيل حتى

خشيت وان كرم من الحران

واخيرا نتقظ ابيانا من تصيدتين يصف فيها

المتنبي مواقف متباينة يستوضحها من فرسه وتبرز فيها

براعته في دقة الوصف لهذا الحيوان الذي احبه المتنبي

.. فذكره في كل قصيدة من تصائده .

وجردا مددنا بين اذانها القنا

فيتن خفافا ينغي العواليا

تمائشي بايد كلها واقت الصفا

نقشن به صدر البراة حواقيا

ونظري في سود صواق في الجبي

يرين بعيدات التخصوص كما هيا

وتنصب للفرس الخفي سوامعا

يظن مناواة الضمير تناديا

تحائب فرسان الصباح اعنة

كان على الاعناق منها افاعيا

بعزم يسير الجسم في السرج راكبا

به ويسير القلب في الجسم ماشيا

قواصد كانوا توارك غيره

ومن قصد البحر اشتعل السواقيا

ثم يقول في قصيدة اخرى الايات التالية المشهورة .

ويوم كليل الماشقين كمنثه

اراقب فيه الشمس ايان تقرب

وعيني السى اذني اغر كانه

من الليل باقني بين عينيه كوكب

له فضله من جسمه في اهابه

تجيء على صدر رحيب وتذهب

شقتت به الظلماء ادني عنائه

فيطفي وارخيه قسرارا فيلعب

واصرع اي الوحش قفيت به

وانزل عنه مثله حين اركب

وما الخيل الا كالصديق قليله

وان كثرت في عين من لا يجرب

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها

واعضاؤها فالحسن عنك مغيب

فأخيل صديق ومجالسها لا يحسن أعضائها بل
يحسن طباعها وركوبها عنوان العز والسؤدد كما يقول
المتنبى

أعز مكان في الدنيا سراج

وخير جليس في الزمان كتاب

وأخيرا يصرح المتنبى بأنه ليس وحده الذي يعرف
الخيل وإنما هي التي تعرفه لطول صحبته لها في مسيره
في الحرب والسلام

ومهجة مهجتي من هم صاحبها

أدركتها بوجاد ظهره حرم

رجلاه في الركض رجل واليدان يد

وفعله ما تريد الكف والقدم

فأخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

شعره في الإبل

قلنا ان المتنبى كان كثير الترحال بجوب المفاوز
ويقطع الصحارى وكانت الإبل رفيقه في رحلاته وطاما
تاجها واستوحى من صبرها الذي لا يتقر حزبا جعله
صلبا كالحديد لا يلين لغير الحق وكما يقول أحد شراح
ديوانه (كان متكبرا أيبا معجبا بعيد الهمة) (وأنه
كان ينفر من التكلف ويفضل البداوة على التحضر)
فلم كان يفضل البداوة ؟ .. أرى انه كان يفضلها لأنه
قضى معظم وقته في البداوة .

وشعره في الإبل كثير فهو يناجيها ويصف أحوالها
وانواعها وأعضائها وأدائها وطرق سيرها واختلافها
كما تجد ذلك في أبياته التالية

ألا كل ماشية الخيزلي

فدا كل ماشية الهندبي

وكل نجاة بجاوية

خنوف ومساكي حسن المشى

ولكنهن حبال الحياة

وكيد العداة ويمط الأذى

ضربت بها التيه ضرب القما

ر أما لهذا وأما لهذا

إذا غزعت قدحيتها الجباد

ويبيض السيوف وسمر القنا

ومقصودته هذه طويلة ومعروفة يصف فيها خروجه
من مصر فبيدا في وصف رحلته بوسيلة نقله وهي الإبل
وهي تمشي في سيرها أحيانا مشية الخيزلي وهي مشية
للنساء فيها استرخاء أما مشية الهندبي فحرب من مشية
الخيل فيه جد وسرعة فهو يقول .. ان كل امرأة تمشي
مشية الخيزلي هي ندا كل فرس تمشي الهندبي والنجاة

البجاوية هي الناقة السريعة ولوعه بالإبل سببه لأنها
حبال الحياة يتسبب بها للرزق والخروج من المهالك وهذه
الإبل ليست لأقتال غان غزعت قدحيتها الجباد وعليها
فرسانها بسبوغهم ورماحهم .. ثم ان المتنبى يصف هذه
الإبل كيف تستاق ؟ وكيف ترى من بعيد وعليها هواجها
كانها الشجر ؟

يشتاق عيسهم أتبني خلفها

تتوهم الزفرات زجر حداتها

وكانها شجر بدت لكتها

شجر جنيت الموت من ثمراتها

لاسر من إبل لو أني فوقها

لحلت حرارة دمعي سماتها

ويقول انني جنيت الموت من ثمرات هذه الأشجار
لأنها كانت سببا لفراق الأجرة وهو يدل ناقته فلا يجهدا
بالسوط فيقول

لا ناقي تقبل الرديف ولا

بالسوط يوم الزمان أجهدها

شراكها كورها وشفرها

زمامها والتسوع مقودها

والشراك سير النمل والكور رحل الناقة وشفرها
بمنزلة الشفة من الإنسان والمقود الحبل الذي تقاد به ..
والبيعر فكل الناقة وهو جميل تجله ثلاث توضع عليه
في المناسبات وقد ذكره المتنبى في مناسبات عديدة
يا طفلة الكف عيلة الساعد

على البعير القلند الوافد

والوافد هو السريع في السير .. وهو ينتقل في
سيره على الناقة أو البعير ويختار منها القوي السريع
ليصل إلى غايته

ركبت مشرا قديمي إليها

وكل عاذر خلق الضفور

أوانا في بيوت البعدو رحلي

وآونة على قعد البعير

والعاذر : القوي من الإبل .. وقعد البعير خشب
الرحل ..

والإبل أنواع فمنها الناقة الصلبة التي نمت سننها
واشتدت قوتها وتنسى عنسى ومنها المرأة وهو يذكر
مثل هذه الإبل ويشبهها بمواقف مختلفة ليصور هول
تلك المواقف

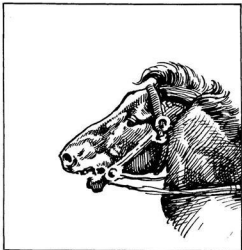
أليك ابن يحيى بن الوليد تجاوزت

بي البعد عنسى لحماها والدم الشعر

أي ان شعري قام لها مقام الدم واللحم ليقومها
على السير

أليك طعنا في مدى كل صفص

بكل واة كل ما لقيت نحر



إذا الليل وأرانا ارتنا خفافها

بقدح الحصا مالا ترينا المشاعل

كأني من الوجناء في ظهر موجة

رمت بي بحار ما لهن سواحل

والوجناء : الناقة القوية .. وهو كبا يعرف
انساب العرب يعرف انساب الخيل والابل .

من بنات الجليل تبشي بنا في

أبيد مشي الأيام في الاجبال

كل هوجاء للدايم فيها

اثر النار في سليط السبال

والجديل : فحل كريم تنسب اليه كرائم الابل
والهوجاء : الناقة التي لا تستوي في سيرها لنشاطها
وخفتها .

فكان مسير عيسهم ثميلا

وسير الدمع اترهم انهيمالا

كان العيس كانت فوق جفني

مناخاة فلم ترن سالا

القت ترحلي وجعلت ارهني

فشودي والغريري الجلالا

والذيل السير المتوسط والغريري منسوب الى
غريز وهو فحل من الابل تنسب اليه الكرام منها ..

فلشكلم في خيله عجل

ولعقلهم في خفته شغل

والبخت : الابل المعجبة وهي غير العربية .

وبقارن المتنبي بين الخيل والابل ويضع كلا منهما
في موضعه حيث ان الخيل خلقت للحرب والسرعة
والابل للتنقل عبر المفاوز السحيقة غير انه اذا اتعب

إذا ورمست من لسعة مرحت

كان نوالا صر في جلدها الثبر

فانه جعل سيرها في الفلاة طعنا وجعل ما يقطعها
من الارض نحرًا فسيرها بمنزلة الطعنة اذا اصابت
نحرًا نفذت فيه ، والثبر : دويبة تلسع الابل فاذا
لسمعت نائنته هذه الدويبة مرحت اي نشطت وشبهه
موضع الوم بصرة فيها الدناتير التي كان يحلم بها
ويتهالك عليها .

ومهمة جيشة على قديمي

تعجز عنه المراميس السذل

والمراميس : جمع مرمس وهي الناقة الصلبة
الشديدة .

وقال واصفا نائنته

ارابت همة ناقتي من ناقة

نقلت يدا سرحا وخنا مجبرا

تركت دخان الرمث في اوطانها

طلبا لقوم يوقدون المنبرا

وتركت ركبائها عن مبرك

نفعان فيه وليس مسكا انفرا

فاتتك دامية الاظلل كانها

حذيت قوائمها المقيق الاحمرا

والسرح هنا يعني بها السهلة السير والخف
المجر الشديد الصلب والرمث نبت يوقد به وهو من
مراعي الابل والاظلل باطن خف البعير .

كم مهمة قذف قلب السحليل به

قلب المحب قضائي بعدما طلا

انكحت صم حصاها خف بعلة

تفشمرت بي اليك السهل والجبالا

لو كنت حشو قبضي فوق مرقها

سمعت للجن في غيطانها زجلا

والبعلة الناقة القوية وتفشمرت الناقة ..

ركضت على غير قصد والنبرق وسادة يعتمد عليها

وما زلت طودا لا تزول منكبي

الى ان بدت للضميم في زلزل

فقلقت بالهم الذي قلل الحشا

فقلقل عيس كلهن قلاقل

والبيت الاخير قلل فيه المتنبي وعابه عليه النقاد
حتى قال فيه المصاحب بن عباد (ما له قلل الله احشاه
وهذه القاعات الباردة) والقلاقل : جمع قلل وهي
الناقة الخفيفة .. وانا اقول بان المتنبي قلل بالبيت
الاخير ليمت في شعره ذكر كائنة انواع الابل وما اصطلح
عليه العرب في تسميتها وقد استدرك بالابيات التالية
ما عانه في قلقلته تلك بابدع وصف للناقة عند سيرها
ليلا ..

الحظوة العامة

قصة أحمد عودة

قالت لها امها وهي مزروعة على
غراش المرض :
— اي بنيتي ، احذري الذئاب .
— طردت الخوف واعتقدت ان امها
تهذي .. لا ذئاب في الدينة وهي
لجة من الضياء ، الغابات وحدها
يمكن للقوي ان يعيش فيها على
حساب الضعيف ، اما هنا فمثل هذا
التحذير مضحك .

شرعت اصابعها الدبية بالاظفار
وابتسمت فلم تشاركها الابتسام
احنت راسها للابد . لحظة الترقب
نصبها الموت امام عينها بكثفة ، لم
تكن وهي ترى امها تغادر البيت بلا
رجعة . لو سمعت كلام امها . كانت
تقول لها دائما ان لا ابل يرجى في
شفائها ، والداء قد استوطن رثتها
يعد عليها الشقيق والزفير ، وان ما
ياخذها الاطباء يدعوى الامل يمكن ان
يسد ثغرة كبيرة في حياتها بعدد
موتها .

لم يعد لها من احد غيره ، حين
راته امنت اكثر ان لا داعي للبقاء.
تبنى لها عمرا مديدا فتمنت وهي

ابله في السر السريع احيانا فليس ذلك بغضا منه لها
لا ابغض العيب لكنت وفيت بها
قلبي من الحزن او جسدي من السقم
طردت من مصر ايديها بارجلها
حتى مرقن بنانه جوش والعم
تبزي لهن نعام الدو مسرعة
تعارض الجدل الرخاسة باللجم
تحذي الركاب بنا بيضا مشافرها
خضرا فراسنها في الدغل واليلم
مكعومة بسياط القسوام نضربها
عن منبت العشب نيفي منبت الكرم

فان اتعبه لآله ليس بغضا لها وانما ليقى قلبه
الحزن وجسمه السقم .. فالسقيم اذا سافر صح
جسمه وانه حثا على السر السريع حتى كان ارجلها
طاردة لايديها والدو — الفلاة — ونعام الدو يتصد بها
لخيل فهي سريعة كالنعام وهي لعلو اعناقها تيساري
عناق الابل فتكون اللجم في اعناق الخيل كالجدل التي
قاد بها الابل .. والابل تسرع ومشافرها بيضاء لان
يد افواها جف عليها وفراسنها — وهي لحم خف
لابل — خضراء لانها تطا نبات الدغل وهي مكعومة
— اي شددت افواها — ولكن ليس بشدد وانما
السياط التي تمنعها من الرعي حثا لها على السر .
واخيرا فان هذا الشاعر العملاق الذي اقام الدنيا
اقتعدوا والذي يطنع شمره بالكبرياء والانتفا امام
ملوك والامراء يأنف كذلك من ان يكون عبدا لهذه الابل
لتي احبها اذا برمت بصحبته او امتنعت عليه فانه
امكانه ان ينتقل بدونها فهو كالعقاب لا يحتاج لمن
حمله الى مكان اخر

واني لتجم تهدي بي صحبتي
اذا حال من دون التجوم سحاب
غني عن الاطمان لا يستغزني
الى بلد سافرت عنه اياي
وعن ذملان العيس ان ساحت به
والا فني اكوارهن عقاب

غير ان هذا الشاعر يغار احيانا من ناتقته اذا
ضبت حبيبته التي املتلتها الزمام لانها سوف تقلب فيها
انها تلبسة

تشكو روائفك المطية فوقها
شكوى التي وجدت هواك دخيلا
ويغريني جذب الزمام لقلبيها
فبها اليك كطال تقيلا

السيد مصطفى كاظم الدامغة



تنظر الى عينيه لو يضاف الى الاحياء
ما يحرم الاموات من عمر ، لذلك
قالت :
— اذن كنتك اسعد خلق الله مدة
اطول .

— لاحظت انه يتحاشى النظر
اليها وهو يقول :

— ولكن ما يتركه الاموات من
ارث منظور خير من سنين قد تكون
عجافا .

ولاول مرة شعرت انها ملزمة
ان تخبره بما يشبه الاعتراف بالذنب
ان ما كان من الممكن ان ترثه صوته
في جيوب الاطباء بخلاف رغبة امها
وان كل رصيدها حبه .

قبل ان يحول عينيه عنها رمتها
بنظرة شذراء :

— من العجب ان يكون رايبها
اصوب من رايك وهي التي كانت
نصف بيثة .

لم تستم في لهجته او كلامه اي
نوع من الغيرة عليها . تفرق نسي
وحدة قتالة ، تليس حاجتها للدعوى
وتتلمس نظرة جانبية من عينيه
تخرجها من طوق الوحدة الضاغط
على عنقها .

— كيف ستواجهين الحياة بيد
مراغة ورأس اكثر فراغا ؟

في صوته رنة شتانة وازدراء ،
ويده طالما دقت على صدره
استعدادا راتها مطروحة الى جانبه
جثة هابدة . عيناها اللتان كانت
تسبح في بحرهما تغيبان خلف عيوبة
تفتقرش وجهه كله . ما ظنت في لحظة
من اللحظات ان هذا الوجه الوسيم
سيتحول الى لون من البشاعة
المالحة . الشخص الذي كان
يستخدم بالانير راته يغوص في بؤرة
من الوحل اللتن .

سمعته يقول بعد فترة صمت

طويلة :

— حسن ساوايك الليلة .
كل شيء كان يوحي بان الليل
مخيم بدليل هذا السواد الذي تراه
مرتبها على كل شيء فبدا الانتظار

عقابا اخر يوقعه عليها لفلة شنيعة
اجترحتها . همت ان تقول شيئا اي
شيء ، غير انه تركها وهو يغتم:
— الساعة الثامنة في البيت ، في
بيتك .

رأته وهو مدبر منها كشبح بلا
ملاحج تنشق عنه غابة كثيفة الشجر
انهال عليها اليأس . كل امالها
السعيدة راتها مطبوعة بالفلم على
لوح اسود ، والشمس التي تنكسد
السما هي الاخرى راتها مغارقة
بمضخة ميكية . فهذه هي المسرة
الوحيدة مذ عرفته تشعر ان يدا
رهية تنقلها من الجذور وتقيها في
البيت قطعة من الحطب الجفاف
سريعة الاحتراق . « ليس وعدا ما
طلبه منك بل حكما قاسيا عليك
تنفيذه واعصاك معلقة على منارة
الانتظار » .

الليل يتقمع عليها القرفة دفعة
واحدة . يهبط كخيبة اقتلمتها
الريح . الساعة مشنوقة على
الجدار ، دقائقها وأهنة تشيع النهار
الذاهب . تضع الدقائق حجرا كبيرا
في طريق افكارها . تسقط الدقائق
المقارب نظرات كسلى . نصف
ساعة فقط باقية على الموعد الذي
حدده بطريقة الية ليس فيها للحرارة
اثر . تعجب من الوقت الذي تخرج
بمثل هذه السرعة وما عهدهته الا
سلحفاة ادركها الكبير ، يلقي
باعصاها وصبرها في مرجل يطفو
على وجهه الزبد الى ان يازف الموعد
فتهرع الى لقلته وتلقي بيوها في
بحر عينيه . كانت هومها تلقى
متصعا في هذا البحر ، تركب فيه
زورقا يسير بدفع انفاسه على
اجنحة من الحلم السعيد . لا تعود
الى البيت الا وقد اغتسلت من
الداخل ، فترتاكم هوم اليوم
التالي على ارض طاهرة من الاردان
تسبل عليه ازالتها ببسطة تسطح من
اسفل شاربها الغزير ، تاسرها
ابتناسه فتنشأ في داخلها رغبة
مؤارة تطفئها بدفعة من كل عين

فيتسائل معاتباً :

— اتبينك وانا معك ؟

— امي اكثر من مريضة ، اخشى
ان تتركني في قطار الساعة وحيدة .

كلامها من الموت والحياة لا يمنع
ابتناسه من الانتشار في وجهه
الوسيم موزرع في نفسها ايمانها لا
يتزعزع بان الطوارئ والمفاجآت
هنا عنده اطيح الحلول ، ويضرب
على صدره استعدادا .

— لن يطلقك ضيم وانا موجود .
عقارب الساعة تطبق على

الثانية . كل ما اجتاح رأسها من
افكار ينهزم بهراوة جهنمية ، دقات
قلها لتدحم بدقات الساعة .

الدقات تلحس كل ذرة في جسدها
فتدبها . نظراتها تتصلب على الباب

— قد يقرع الآن — كل حواسها تتجعب
في افئنها . المقارب تجتاز الثامنة

وتفر عنها . . تأخره عن الوقت
المحدد عقاب آخر . . تزايل مكانها

تزرع الحجرة ، تتحول الى قطعة
شرسمة ، تسيطر عليها رغبة ان

تهجم على الباب وتغرس اظفارها
فيه . تنتشلها دقات خفيفة ، تتوقف

في وسط الحجرة تنأما ، تنظر الى
الساعة ، عقاربها تعانق النافسة ،

تحاول ان تنتزع عينها عن المقارب
لا تستطيع ، تجذبها حركتها المنتظمة

بعد ركض سريع . كل الامور التي
انقلبت في رأسها تعود الى شكلها

الاصيل .

الطرق يستمر ويغتم . صوته
ملتاغ يهبب بها ان تنتج له . تجتاحها

تقشيرية وتقرز ، تطئن الى ان
الباب المعلق يمثل صمام الامان في

وجه انياب واظافر راتها تحرف
اليه .

في لحظة واحدة يتعري الوهم .
تتسبح الى الطرق والنداء بانتشاء ،

تجلس على كتبه وتبد ساقها على
طولها بارتياج . تنزل في حالة من

الشعور بالانتماق حتى بعد ان توقف
الطرق واعتبه اصوات اقصاد
ذاهبة اخذت توتو بالتدريج .

رأسه يتكئ فوق الديدن المثنيتين
بوضع مريح . «لقد نام قبل ساعتين»
نظر اليه العريف ثانية بغيظ . فتح
الباب الجانبي ونزل الى الشارع وتقد
التابوت . ثم قال للرجل المقل —

— ماذا يقولون ؟

اخرج الرجل المقل الدخان من
صدره —

— يقولون انهم سوف ينتهون من
تصليحه الان .

اجابه العريف بحلق —

— لقد قالوا هذا قبل ساعة .

خيم الصمت لحظة ، ثم نظر الرجل
المقل الى التابوت —

— عسكري ؟

اجابه العريف باقتضاب —

— اجل .

نظر الرجل صوب السيارات
الواقفة ، وقال —

— لا يوجد جسر غير هذا ؟

« في اجازة الجندي الاخير كسان
قد ذهب الى السوق وتقد عربته

القديمة المشدودة امام ساحة السوق
الرئيسية ، كان لون عربته باهتا

بالرغم من انه اعاد صيغها قبل مدة
قبل ان يلتحق بوحدته ، وبعد ذلك

ذهب الى الغرفة التي استأجرها
له ولامه ، لم تكن امة موجودة في

الغرفة . فتح باب الغرفة فدخلت حزم
الضوء التي في الخارج الى الداخل

فغمرت الظلمة الكثيفة . اشم رائحة
اشيائه القديمة — سترته التي

استحال لونها واصبحت بلون التراب ،
وحقيبتيه الصفراء المتأكلة الحواف .

احس بالسعادة تغمر كيانه جلس فوق
كرسيه البتيم ذي المسند المكسور .

اغض عينيه واخرج غلبة سجاثره .
فكر — ان امه سوف تن من الفرح

حينما تراه فجأة امامها . « ابتسم
بمذوبة . اغلق عينيه ببسطه وراى

نفسه يدفع العربة داخل السوق ،
ويصيح باعلى صوته مخذرا المارة



المقل

بقلم : فيصل عبد الحسن جاجم

السيارات تزدهم مثل خيط يمتد
مسافة لانهاية امام الجسر المتداعي.
نظر العريف من خلل زجاج نافذة
السيارة ، وقال كأنه يحدث نفسه —
لعنة الله عليهم . نظر الى السائق
الذي وضع يديه فوق المقود وجعل

قال عريف الجيش في نفسه —
« قالوا انهم سوف يصلحون الجسر
بعد ساعة ولكنهم لم يصلحوه الى
الان » . قال الرجل المقل الواقف
الى جانب الطريق : —
— لقد تأخرنا عن اعمالنا .

وحينما تحل الظهيرة يرى نفسه جالسا في ظل الجامع يتناول غداءه ، وبعد ذلك ينام لمدة ساعة داخل عربته ، ثم يستيقظ ليدفع عربته من جديد ، ستكون عربته مصبوغة وتستدفع مثل الصاروخ . وعندما يحل المساء يكون قد أنهى عمله نهائيا . يعود الى غرفتهما وسجد امه في انتظاره « نتهذ الجندي وهو فوق الكرسي ، وقال في نفسه كم ستكون سعيدة وسوف اجعلها تعيد لي قصة زواجها بالرحوم ابي . فتح ازرار ، معطفه العسكري ، وارث سيجارته . سمع امه تسعل ثم دخلت الغرفة ، حينما راته شهقت من الفرح . وقف واحتضنها كان راسها الاشيب يمد ان سقطت عنه (الفتوة) انثناء عناتها يتبرغ في معطفه العسكري ، اخذت تضحك وتبكي ويدها المعروقة تلف حول رقبته . شعر انه يعود ثانية ليمتزج بهذا العالم الرائع . كان الزنبيل قد سقط من يدها انثناء عناتها . وتبعثرت محتوياتها في الغرفة جلس الجندي ثانية فوق كرسيه بينما اخذت امه تجمع الاشياء التي تبعثرت بارتباك واضح ، سألته عن كل شيء ويفرح قالت له —

— سوف اعد لك اكلتك المفضلة . اشعلت (البريمز) خلع الجندي معطفه العسكري . اخذ صوت البريمز يعلو فوق صوت امه ، وعلا صوتها ، كانا يتهاجان بسرعة بالرغم من كون معظم كلماتهما تضع وسط الضجيج وبين الفينة والفينة تملو ضحكاهم المرسورة . الحياة تندفق غزيرة في احاديثهما وملاحظتهما سالها عن اشياء كثيرة . ثم تبدد فوق السرير ، قالت له امه وهي تقترب منه —

— كلما ذهبت الى السوق ورايت عربتك المشدودة ابكي

قال الجندي وهو يتفقد السكف الملون بالسخام —

— سوف اعيد صيغتها . لقد

بهت لونها كثيرا .

قالت له والدوموع ترطب عينها —
كذت ابوت من الفرح عنديا رايتك
لاول مرة جالسا في الغرفة .

ضحك الجندي بصوت عال ،
احسنت الام ان ضحكته تهتد في
الفضاء تتسع الى مالا نهاية لتتشعل
اراضي واسعة لا يحدها البصر .

وضعت امه القدر وجلست امامه
انقرصاء . ثلم من الخبزة ثلثة
صغرة وبللها في المرق ثم وضعها في
قبة ويدأ يلوكها ، قال لها —
لم لا تاكلي ؟

ابتسمت وقالت بصعوبة محاولة
اخفاء عبراتها —
سأكل بعد ان تنتهي .
قال لها وهو يزدرد قطعة
الخبز —
انك لا زلت مثليا كنت .

حينما رشف اول رشفة من تدح
الضباب شعر بالذئبة يتسرب في كيانها ،
ولكنه ، بطرف عينه استطاع ان يرى
معطفه العسكري المعلق بالمسار ،
كانت الازرار التخلخلية ظلت تضيئ

ضوء الصباح ، قالت له امه —
هل تنام هناك جيذا .

— اجل
— تبدو صحتك متردية .

اخذت الازرار النحاسية تتوهج
في عينها حينما قال لها —

— سوف اخذ صورتك معي ...
ابتسمت امه . تمدد فوق
فراشه .

— هل سأل عني اصداقائي .
— انهم يسألون عنك دائما .
سحب اللحاف فوقه . بينما كانت
امه تشرب قدحا من الشاي .

غيوم النعاس تجتاح عينيه ، يشعر
انه يطير في عوالم متسعة مثل طير
فخي صغير ، يبلول الدفء يشمّل
اطرافه الباردة ، وصوت امه يأتيه من
عالم بعيد يغيره الذول . رآها وقد
عفرت راسها بالوخل . تصرخ تفصل

صرخاتها الى عالمه البعيد المجهول . .
استيقظ ، كان وجهه رطبا بالعرق ،
قالت له امه ووجهها يشفق فوق
السرير —

— لقد كنت تحلم .
ابتسم الجندي ابتسامة ذابلة وبعد
ان نظر حوله بذهول قال —
— اجل .

جلست على السرير ، قالت كانها
تستحذ على الحديث —
— بماذا حلمت ؟
— ابتسم من جديد —

— بعوالم بعيدة ، وانهار ، ومزارع
وضخكة رنانة ، تشمل الارض من
اقصاها الى اذناها ، احلق بعيدا مثل
طير فخي يبلول يغرد دائما دون ان
يصمت . بعد ساعة كانت النائية
مطفأة في الغرفة الصغيرة النائية
نحت لحاف افراحها الصغرة
الرفقة . « كان الرجل المغفل يرقب
قطرات الدم التي تتسرب من بين
فتحات التابوت . ثم نظر صوب
العريف كان يذخن بشراة ، قال له
بصوت عال وهو يشير الى التابوت
— هل تعرف مكان بُنيته ؟

قال له العريف وهو يخرج صورة
عجوز من جيبه —

— لا اعرف الا اسمه ، وصورة
عجوز كانت في جيبه قد تكون امه .

اعطى العريف الصورة الى الرجل
المغفل ، تاملها الرجل جيذا ، وقال —
— لا اعرفها ولكنها تشبه باقي
الاهبات .

اخذ العريف الصورة واخفاها في
جيب معطفه العسكري . كانت
الصورة تبكي بمرارة وتضع الوحل
فوق راسها ، بينما كانت ضحكة
الجندي تمتد امتدادا لا نهائيا وتخترق
اخشاب التابوت الباردة وتفرغ فوق
مياه النهر الصاخب وتجتاح الهواء
المحمل برائحة المطر ..

فصل عبد الحسن حاجم
— البصرة —

الضنان العراقي

شامو الحمد

رسام عثم

اعداد
سالم الغزاوي



شامو
حامد
العمر
في سطور

- ولد عام ١٩٤٢ في الموصل بمحافظة نينوى .
- تخرج في معهد الفنون الجميلة - دبلوم رسم .
- عمل في التدريس واولفد الى القطر الجزائري ، ولدى عودته نسب الى مركز النشاط الفني في مديرية تربية محافظة نينوى .
- يعمل حالياً معاون مدير دورالثقافة الجماهيرية في نينوى ، ومسؤول الشؤون الفنية فيها .
- عضو جمعية التشكيلين العراقيين، اسلوبه يعتمد على الواقعية والتأكيد على جزئيات اللوحة
- اقام معرضاً مشتركاً عام ١٩٦٦ على قاعة الاعدادية الشرقية .
- شارك في جميع المعارض التي اقامتها مديرية التربية على نطاق المحافظة والقطر .
- اقام معرضاً شخصياً في مدينة عنابة في القطر الجزائري عام ١٩٦٨ .
- اقام ثلاثة معارض شخصية في القطر الجزائري خلال الفترة بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٧٠ .
- شارك في معرض البوستر السياسي الذي اقيم على قاعة مديرية الفنون العامة .
- شارك في معرض للبوستر حول احداث لبنان اقيم على قاعة مديرية الثقافة الجماهيرية في نينوى عام ١٩٧٦ .
- اقام معرضاً شخصياً عن القطر الجزائري على قاعة مديرية الثقافة الجماهيرية في نينوى في نيسان الماضي ، ثم نقل هذا المعرض الى جمعية التشكيلين العراقيين في بغداد . واعد عرضه مرة ثانية في نادي الاخاء بمحافظة نينوى .

والطيور والأشجار التي أراها
وكانت رسومي تتداخل فيها بينهم—
بصورة سريالية قد يصعب على
«سلفادور دالي» استنباط مثلثها.
وكان الطباشير الملون يمثل لذىرو
كبيرة .. وكنت أذكرها لرسومي
التي (انفذها) على جدران المنزل فـه
ابقي وأخلد .. ولم يخل دفتر لم
من رسم أو تخطيط ، وكاتبه
الرسوم تزحف في كراسات المدرسة
العربية والحساب والإنكليزية ،
الخلف حتى تصل الى أول الدفتـ
مكتسحة أي موضوع في طريقها .
وقد ازداد تعلقي بالرسم مع مرو
الزمن .. وقد بلغ غايته حين أنهـ
دراستي المتوسطة ، وقررت دخو
معهد الفنون الجميلة ، حيث حصـ
على دبلوم في الرسم .

— قتل الفنان ثامر العمر .. هـ
بده حياتك الفنية، كان الفن التشكـ
في العراق قد بدأ بالتألق والإزدهار
وظهر فنانون كبار تركوا بصمات
على الحركة التشكيلية ليس فـ
القطر حسب .. أنها ابتـ هـ
التأثير ليشبل أنحاء عديدة مـ



بثقة وجبال — لاسيما وان هــ
الموهبة طورت بالدراسة في معهد
الفنون الجميلة — لتصير عبائر
وأشجارا وجبالا وأشخاصا أخذت
الحياة تنب في وجوههم .
.. ولكن ، لتدع الفنان التشكـ
العراقي ثامر حـيد العمر يحدثنا عن
تجربته .

ثامر حـيد العمر .. فنان
تشكيلي من مدينة الموصل ، هــ
المدينة العربية العريقة التي يمتد
نهر دجلة في وسطها فيغشق عليها
الحياة ، ويضخ الدماء في عروقها ،
ويشيع فيها الخضرة الدائمة وينبت
الأشجار الوارفة ، بقطوعها
الدائنية .. أنها مدينة لها مذاق
الفردوس ورائحته ، وهي مدينة
شهدت فصولا رائعة من الحضارة
العربية والإسلامية ، مازالت تبدو
جلية في طراز عمارتها القديمة ،
وجوامعها العديدة ، الشامخة نسي
سماها ، والنقوش المحفورة على
المرمر ، والتي تـلأ ببوتها العتيقة ،
المرصوفة في أزقة نظيفة متداخلة،
لها مداخل وتناظر كأنها الطلائس ..
والسهول الخضراء الممتدة حول
الموصل ، والتي تميل من ناحية
الشمال ، نحو الأعلى ، لتصير
رويدا رويدا جبالا شامخة مكللة
بالثلوج شتاء ، وربما صيفا أيضا،
وقد حنت بقمعها أشجار الجوز
والبلوط والسرو .. أن هــ
المكونات الأولى لهذا الفنان التشكـ

ق الحياة الجزاءرية

الوطن العربي .. من هؤلاء جر
سليم وفائق حسن .. الى جانب
هذا ، كانت الموصل قد شهدت
فنانين جديين أمثال نجيب بـ
وضرار الفتو والفنان المجدد را
بدبوب ولا شك أن الفنان هو نـ
مجموعة تأثرات زائدا الأبد
الشخصي .. فبين تأثرت يوما د
العوامل التي جذبتك نحو الفنـ
التشكـ ، إضافة الى الفطرة الـ
تحدثت عنها ؟ ..

● علاقتي مع الفن .. قديمة ، عميقة
الصلة ، فهي تبدأ مع الطفولة .. فقد
بدأت هذه العلاقة بالرسم على جدران
الحلّة ، وعلى أرصفة الشوارع
الحيطّة ، بلّ حتى على أسفـلت
الشارع .. ما أن أرى جدارا ناصعا
حتى أقوم بتسويده وملئه بالخطوط
الخشنة الغليظة .. كنت أستمع
كل الأدوات المنيرة .. قوالسب
الطباشير ، وقطع الفحم ، والحجارة
.. وكنت أقوم برسم الحيوانات

الشباب ، إضافة الى الهواية التي
بدأت مع الطفولة المبكرة ، إذ بدأ
ثامر العمر خطواته الأولى فـسي
الحياة عاشقا للرسم حد الهوس ،
وكانت الصور والرسوم الملونة التي
يراهـا في كتب المدرسة وفي المجلات
التي تقع في يده ، يعمل جاهدا على
تقليدها ونسخها .. كان يـلا
الأوراق بخطوط كثيرة متشابكة ،
كانت في البدء متعرجة شائنة مترددة
ثم مضت تتخذ مسارها على الورق

.. فكيف قبت بنقل هذه الأجواء ولماذا ؟.. هل اردت تصوير أجواء وجنتها غريبة عنك .. أم انك اردت إبراز قضية أو ظاهرة معينة؟ ● في بداية عام ١٩٦٨ اوفدت الى القطر الجزائري الشقيق للمشاركة في حملة التعريب ضمن مجموعة كبيرة من الممثلين والحرسين .. وفي تلك الفترة كنت اهيء لاقابة ممرض شخصي لي في مدينتي الموصل ، وانتهزت هذه الفرصة ، وقمت بنقل معرضي هذا معي الى الجزائر ، وفعلت اقميت هذا المعرض هناك ، وقد كانت لوحات المعرض تتضمن قضايا غلكورية شعبية ، وبضعة مناظر طبيعية ، ولوحات أخرى تعبر عن البيئة الشعبية العراقية العربية ، وقد اقميت هذا المعرض في مدينة (عنابة) على قاعة المعهد الثقافي الفرنسي فيها ، ولدهشتي توبل المعرض بترحيب الجميع واعجابهم وحبههم .

تلك كانت اولى وشائج اللقاء بيني وبين الحياة الجزائرية والطبيعة الجزائرية .. لقد احببت هذا القطر العربي المجاهد ، احببت كل ما فيه ، وشغفت بالبحر الذي كنت اتقيه للمرة الاولى .. وخلال العامين اللذين قضيتهم هناك اقميت ثلاثة معارض عن الجزائر ، وكنت افكر دائما انني يجب ان اقل هذه الصورة الجميلة عن القطر الشقيق الى بلدي كسا فعلت عندما نقلت صورة من حياتنا الية .. ان الفنان العربي سمر متجول ، وسافر لا يابيه بالصدود ولا بتأثيرات رجال الحدود .. وهو يحمل جواز سفر عربيا يتبع له التقل حيثما يريد .. والفنان العربي عليه ان يعبر عن الحياة العربية بحب وصديق يبرز الجوانب المشرقة والاصيلة ، والتي تزيد اواصر ارتباط اقطار الوطن الكبير ، وتشدها الى بعضها .. وكنت وانا انتقل بفرشاتي والواني عبر وفي خضم الحياة

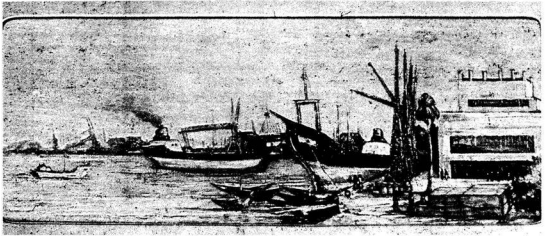


بنظر في السجائر

http://Archivebeta.Sakhr.it.com

● في البداية .. وفي المرحلة الاولى من الدراسة .. لم يكن هناك من يهتم بالمواعب الفنية ، اعني ان الاهتمام يكون فرديا وذاتيا ومزاجيا . فكان الاعتماد الكلي يتوقف على جهد الفن وجده ، وعلى ما تقع عليه يداى من صور للوحات عالية انحصصها واحاول دراستها ، وبالتالي تقليدها ولكن في المرحلة المتوسطة التقيت باستاذة كان لديهم المام فني ، فغالبوا بتوجيهي الوجهة الصحيحة ، واخذوا بيدي ، وشجعوني على الانغماس في هوايتي والاستمرار في الرسم تحت اشرافهم . وكما قلت .. انني فعلا اعتبر نفسي نساخ التاثرات المتعددة .. سواء التاثر بالبيئة ، او بالطبيعة التي كانت اول موديل تعاملت معه ، او بالفنانين الذين فكرت ، والفنانين العالميين العظماء .. اضافة الى استعدادي

في حالة الخلق . قلت له .. تميز معرضك الاخير بصفة شملت كل اللوحات المعروضة فيه ، وهي التعبير عن الحياة والبيئة والطبيعة في القطر الجزائري الشقيق



مينا رعنانية

كنت اريد ان انتقل هذه الحياة الرائعة ، وكنت اريد ان امير عن تلك الانكار التي تحدث في داخلي ، واظنني بذلت جهدا كبيرا في هذا .. فقد بذلت جهدا واضحا في دراسة الفولكلور الشعبي الجزائري ، وابرار الطابع المشترك بينه وبين مثيله في الاقطار العربية الاخرى .. لقد ركزت جهودي في هذه الناحية وحاولت تعميقها ، لكنني مع هذا كنت اجد فرصا عديدة لرسم بعض الاجواء الغريبة التي وجدتها في الجزائر .

ركبوه ، بسنهم الجبيلة لينقلوا عبره الى العالم رسالتهم السابغة ، ولينبروا اوروبا التي كانت ترزح في ظلام دامس .. انه معبر الحضارة والنور ، هذا البحر بزرقتة اللازوردية الرائعة ، وطعمه اللاذع . وكنت اري الى القرعيد الاحمر المنتشر بين سهول وجبال الجزائر الخضراء ، وفوق الدور المشيدة بين بساتين الحمضيات ، واشجار الكروم .. انها اشبه بضربات حكيمة ورصينة لفرشاة فنان قادر على لوحة طبيعية مضيئة ..

الجزائرية اؤكد دائما على الطابع العربي ، واعمل على ترسيخ الجانب القومي ، من خلال الزي الشعبي والملاحم والعادات التي لا تختلف عن اي قطر عربي اخر رغم المحاولات الاستعمارية لطمس معالم عروبة هذا القطر .. ان الجزائر قطر جميل بجباله ، وسهوله ، وبحره ، وباحيائه الشعبية التي تفوح منها رائحة البطولة .. لقد بهرني البحر بهدوئه الذي لا يلبث ان ينقلب ثورة عارمة تجعل امواجه الهائلة تنصف صخور الشاطئ بشراسة ، حتى تخال انها ستقضمها ، ثم لا يلبث ان يتراجع ، ويعود الى دعته وطيبته .. ان هذه الضاروة ، وهذا الهدوء يتخلل في طبيعة الانسان الجزائري وفي سلوكه ، ان الانسان العربي الجزائري مرفف وحساس وطيب ، لكنه لا يلبث حتى ينتفض غاضبا اذا ما احس بما يسيء اليه مهما كانت نتيجة هذا الغضب .. انه يؤثر غاضبا حتى لو كلفه هذا الغضب مليون شهيد ، المهم ان ينتصر لنفسه ، وكرامته ، ومن ثم يمسود هادئا ودودا كما البحر .. لقد كنت وانا اطليل التامل في البحر الابيض المتوسط اتمثل اجدادنا العظام الذين



التهام والادانة في «الموت..خلف القدر»



محمود حنفى كساب

يقول توفيق الحكيم : (لا اعتقد اني فنان وانما رجل يستخدم الفن لتوصيل مشاعره وتجاربته الى الناس) (١) واذا اعننا النظر في عبارة توفيق الحكيم نجد انه ينفي عن نفسه الفن ، اي انه رجل عادي يملك مهارة استخدام وسيلة الفن كي يقول تجاربه للناس ، واذا ما كان ذلك ، حقيقيا فان توفيق الحكيم فنان ، لان الرجل العادي لا يملك — عادة — تجارب تفيد الآخرين ، ولا يحلم بتغيير المجتمع عبر منشائر مطبوعة مذاعة على الناس ، ومن ثم فقولة توفيق الحكيم هذه على سبيل النواضع ، ولنذكر انه اي توفيق الحكيم كان دائما ينفي عن نفسه تهمة انه يهدف من وراء كتاباته شيئا وذلك حتى يعيش اطول فترة ممكنة بعيدا عن الملاحقات البوليسية التي سادت حياتنا الفكرية زمانا طويلا . (٢) والكتاب حين يشرع قلبه ليقتدم حياة كساملة في

الفنان هو ضمير العصر بكل ما تحمله الكلمة من معنى شمولي ، وهو يؤدي وظيفة الضمير دون ارادة مصرة ، فهكذا اتى الى هذه الحياة ليحلم ، وليحاول التعبير ، وهو في نسجه لعالم الرواية يشع تصوره لما ينبغي ان تكون عيله الافكار والعقائد ، وذلك من خلال تشابك وتصادم الاحداث والشخصيات ، وتفاعل المواقف .. بمعنى مختصر : يقدم حياة اخرى ينبغي ان تعاش . وهو نتيجة لذلك مسئول مسئولية مباشرة عن ادانة الكثير ، وتهجد الكثير . ولسنا في شك من ان روايات جوجول وتشيكوف وديستوفسكي وهيجسو ، واناثول فرانس واسكندر ديباس وديكنز وهينجواي وغيرهم قد اعطت العالم مددا من حيوات ينبغي ان تعاش ، وحيوات ينبغي ان تدان ... ويبالغ بعض الكتاب في النواضع ومحاولة نفي احلامهم بتغيير الحياة

عنها ... وفي الجزائر تلقني عايدة بحبيها ماجد توفيق الذي رفضه أهلها عندما تقدم للزواج منها ، ويسافر الى الكويت للعمل ومنها الى الجزائر ليعمل كمدبر للتخطيط في إحدى الشركات .. وتسترجع حبها ، وتمضي معه أياما حافلة بالحب المستعاد واللذة ... ويكون ضمن الوفد أيضا الشاعر الكبير الحزين بسبب فقد ولده الوحيد الذي انتحر ، وكذلك الكاتب الغاص سالم حمزة الذي يتبوأ مركزا حكوميا بالرغم من فقد مركزه الأدبي في عالم القصة ... وفي أثناء انعقاد المؤتمر يموت الشاعر الكبير غرنا في البحر أثناء تجواله ليلا وهو مخمور ، ويضطر الوفد الى العودة للقاهرة ، والعودة تنهي العلاقة بين عايدة وماجد توفيق حبها القديم ، وتدفع أحمد كمال الى الاستعداد لمواجهة الحياة بدون سناء التي أرسلت له رسالة تنبئ فيها بأنها اضطرت لقبول خطيب جديد ..

في البداية يلزم أن نتساءل : لماذا تود هذه الرواية قوله ؟ .. يحس القارئ منذ اللحظة الأولى لانغماسه فيها أن القضية التي يطرحها عليه هي أنك أيها القارئ متلف على معرفة كنه هؤلاء الذين يصنعون لك فكر ، اليك هم : الجميع متهبون ، ومن خلاهم حياتنا الثقافية والفكرية ، ذلك أن جميعهم في وفد لتثنيلا في مؤتمر دولي يعني أنهم يمثلون فكر مصر في مقابل من يمثلون فكر الاوطان الأخرى ، ولأن اسماعيل ولي الدين كاتبنا وأقامي وروايته جلاها عن الأحياء الشعبية فلقد أثر هذه المرة أن تكون واقعيته عن المثقفين وخاصة الكتاب والفنانين الذين تفرسهم الإشاعات (الاتهامات) ، والمؤلف يقدم لنا شخصيات الرواية بطريقة نجيب محفوظ في (الرايا) وذلك بتقديم بطاقة تعريف لكل منهم ، فاحمد كمال الشخصية التي تروى الرواية من خلاله ، شاب في العقد الثالث ، على قدر من الوسامة والطيبة ، يماون اصطداه السذبن ينتكرون له عندما يتسم لهم الحياة ، يعمل محاسباً باحدى الشركات نهارا ويبتعن النقد الأدبي ليلا ، وسناء رزق صديقتها وحبيبتة (امرأة جافة باردة) مرهقة ومثيرة للغضب والتماغب ، والشاعر الكبير رجل شجاع واجه السلطة ، ولم يرضخ لمساوماتها بالرغم من نقله الى مؤسسة اللحوم (اجش الصوت) وشهرته تطبق افاق الوطن العربي ، يسكر دائما ، انتحر ولده الوحيد بسببه ، وعابده الشريف امرأة فائقة الحسن ، مدعية ، ينشر لها قصائد الشعر في الصحف والمجلات ، ويقال ان احد موظفي زوجها هو الذي يكتب لها القصائد وهي مشاع لكثير من الكتاب .. وسالم حمزة كاتب قصة جهرها الى الخالة بسبب تيارات الادب الرفيع الذي تجاوزه ، فاصبح لا تقي له في دنيا القصة بالرغم من منصبه

رواية ، تحكيه طبائع البشر وقوانين الحياة ، ولكن جنوة الفن تغلب على الطبائع والقوانين ، وتخلق لها طبائع جديدة لبشر جدد وقوانين جديدة لحياة مختلفة ... والروائي — وهو يقدم حياة كاملة — مسئول عن تقديم وجهة نظر كاملة في الحياة التي ينبغي ان تعاش او تدان ، ومن ثم ينبغي ان يكون مسلحا بايديولوجية تعينه على رسم الحياة ، لذا نرى الروائيين يملسون وجهات نظر شاملة وكانت الانظمة الشمولية في اشد الحاجة الى تأييدهم . (٢) يقول ريتشارد هيوز : (حقا ان القدرة على النفاذ من السطح الى اعماق الناس لرؤيتهم من الداخل ليست وقفا على القصص ، فقد كان يملكها هنتر وماكيافيللي وكذلك فرويد ، ولكن الذي تفرده به رؤى القصص هو ادراك يختلف من حيث النوع عن ادراك هؤلاء ، يختلف عن ادق نفاذ الى الانسان باعتباره « موضوع » بحث — ان قدرة القصص هي ان يمثل بغربة اخفى دخائل « الآخر » — التي يعبر عنها بالـ « أنا » . ثم ينظر منها الى العالم من خلال عيني غير عيني ، ليس عمل القصص ان يطل على دخيلة (الآخر) بل ان يرى من مكينة فيها ما هو خارجها ، خاضعا لسلسلة من التحولات السريعة لادماج الهوية حتى يصبح هو (الآخر) حتى يكون هو (الآخر) (٤) . اي ان القصص مطالب بالكتابة عن ، وانها عليه ان يتقن (الآخر) حتى يصبح هو (الآخر) و (الانا) وهذه مهمة صعبة ومعقدة ، لكن الذين يخلون بعالم جديد يفسلمون بها : عين طبيب خاطر ، ومن ثم تصبح رؤاهم مصدرا لاهام قرائهم ، وطريقا عليهم — في حالة الاقتناع — اتباعه والعيش في دروبه .

ورواية (الموت خلف الفندق) (٥) للروائي اسماعيل ولي الدين من الروايات التي تثير في القارئ الكثير من الهواجس وتجر فيه اراءها الصدد ، بمعنى انها ليست متوافقة مع الزاج المعتاد للقارئ العادي وانها هي تقدم له شريحة من طبقة تفرسها الاضواء والشهرة ويمعذبها سلوكها المتناقض الذي يغلب عليه الكثير من التزييف والاشاعات ، وهو اي المؤلف يضع يده على شريحة من المجتمع ، ويعبرها امام جماهيرها المتعطشة لمعرفة اخبارها وهي تحكي حياة احمد كمال الموظف باحدى الشركات صاحبها ، والذي بهوى النقد الادبي في المساء ، وهو يعشق سناء رزق وهي صحيفة تحاول اجبارها على الزواج منها بطريقتها الطموحة في الشقة الفاخرة والمجهز الفاخر ... وهو صديق لاحد الشعراء الكبار المخطوطين من السلطة .. ينضم احمد كمال الى وفد مسافر الى الجزائر لخضور احد بهرجانات الادب والغناء وهناك يتعرف على عايدة الشريف الشاعرة المدعية التي تنقعه بان يكتب دراسة



الرسمي الرفيع في دنيا الثقافة ... اما ماجد توفيق المهندس الذي كان يحب عابدة الشريف ، فهو دأسم الحديث عن الفلوس (المقعدة) بالرغم من انه كان متبها باحياء القاهرة القديمة وهكذا يتأكد القاريء من ان الانهال له ما يبرره من قرآن وأدلة ... فباستثناء احد كمال (الناقد الادبي) كل الشخصيات مدانة منذ البداية : سناء رزق امرأة جافة باردة ، الشاعر الكبير تسبب في انتحار ولده الوحيد ولا يقيق من الخمر ، عابدة الشريف شبيهة مومس ، سالم حمزة قبيء في دنيا الادب ، ماجد توفيق مادي لا يعيش سوى لجمع النقود .. وهنا يلح سؤال اخر يتوازي في الاهمية مع السؤال الاول : ما مدى مطابقة الحدث والشخصيات في الرواية لواقعنا الثقافي ؟!

من المؤكد ان الكاتب العظيم (الروائي على وجه الخصوص) هو الذي يعيش حياة عظيمة ، او بتعبير اكثر دقة الادب الصادق هو الذي يعبر عن الحياة بصديق وهذا لا يتأتى الا اذا عاش الكاتب الحياة بصديق ، فهل حيانتا او بالاحرى الحياة التي قدمتها لنا (الموت خلف الفننق) حياة حقيقية ؟! هل الدولة (موفدة الوعد) ساذجة الى درجة ان ترسل هذه النماذج المشوهة المدانة الى مؤتمر دولي ، هذا يدينها قبل ان يدينهم ، احد كمال مغط هو الذي يمثل البراءة ، اليس كذلك ، ولكن براءته يشوبها اقتناعه بالكتابة عن قصائد عابدة الشريف .. حتى البراءة شابهة الوتوج في الشرك ، لا ابل لك ايها القاريء في نجومك الذين تمسّتهم ، كلهم نماذج مدانة سلفا ، كيف تنق غيبا يكتبون ، انهم يصنعون لك يوميا غذاءك الفكري ، يصنعون علك الذي تواجه به اكبر تحد حضاري في تاريخك وهو الغزوة الصهيونية ؟!

وقد برد علي بأن المؤلف يدين من خلال روايته قريبا من هؤلاء الذين يصنعون فكرنا ، اذا سلمنا جدلا بهذا الرأي ، فلماذا لم يوضح لنا لماذا هذه الشخصيات هكذا ، كيف استطاعوا ان يكونوا في مكان القيادة الثقافية .. هل هم الجناة ام المجني عليهم ؟!

ونتسطر في سرد أدلة الانهال ، والشخصيات جميعها ارتكبت الحب ، الادب ، الجنس والوطن ، سناء رزق واحد كمال كل منهما يجب الآخر ويريد ربط حياته به ولكن تقاليد الحياة البرجوازية تحول دون هذا الارتباط ، سناء رزق تبعت عن الشقة الفاخرة والعريس الذي يهيم لها حياة رغدة (هي تكره كتابات احد كمال النقدية) .. وعلاقة الحب بين عابدة الشريف وماجد توفيق كانت بالاتصال الجنسي المحرم ، لانها مستحيلة في دنيا الواقع البرجوازي بسبب غرام عابدة بالمظاهر والغنى ، فلقد تزوجت رجلا ثريا ... ويتأكد لنا ان

علاقة الحب بين هاتين المرأتين وهذين الرجلين علاقة عقيمة لا تؤدي الى ازدهار الحياة فكيف بن حيانه عقيمة ان يحجب الناس في الحياة بوسيلة الفن ؟! . وسالم حمزة مدع ومفقد بكرته في دنيا القصة بمعنى ان حيانه خواء ، والشاعر الكبير فارقته امراته واخوته ، وولده بالانتحار اي انه لم يستطع ان يقيم علاقة حب مع اخرى ... وكالحب تباها كانوا في دنيا الادب (الإبداع) ، سناء رزق تكتب موضوعات تافهة والشاعر الكبير يكتب عمودا اسبوعيا لا قيمة له ويهدد رئيس التحرير اذا اعترض على نشره بشكواه لدى السلطة .. وعابدة الشريف تنشر شعرا ، مزيفا ، وسالم حمزة توقف عن الإبداع ، وماجد توفيق قتل في الفلوس عشق الفن في القاهرة القديمة .. اما الوطن فمضاع من خلالهم جميعا ، اناس كهؤلاء اي خير ننتظر منهم واي رجاء ينتظره الوطن ؟!

احتجاج

الليل يدب على قلبي
والجذب الرهق يتعبه
ينفو .. يتسلل في رفق
كشريد قد ضل الدربا
والخوف المظلم يتعبه
يجنو في الصمت ويرمقي
يدعوني اليه
يحدثني
عن وحشته
وبرودته
وجود الامع في عينيه
عن درب ضيع خطوته
عن قحط يأكل مهجته
عن سر مدفون جنبه
وانا في حضنه خائسة
اتحسس حبهته التعبه
اترشف روحا بصطخبه
اتلمس في صبت خديه
واقص عليه حكاياتي
عن قلب ينسج وحشته
وجفاف يخفق نبضته
عن روح تصخب تضطرب
واحاسيس
تتدافع .. تنزف .. تصطخب
عن ذاك الحلم الملوؤد
عن شوق ازرع يثرته
في درب غني مسدود
عن كل خيالي العطشى
ينكيها ذهولي وشرودي
وظللت اقصى حكاياتي
في اذن الليل السهران
وابعث فوق عباته
خطرات شتى الالوان
واخيرا عانقتي ومضى
وتوارى في درب نائي

موناليزا
الكويت

والجنس في الرواية جنس غير مشروع موظف
فنيا لإبراز انسانية شخصوها ، عايدة مارسه مع
حبيبها بشيق مثلما كانت تمارسه في القاهرة ، وسناء
رزق لا تسلم نفسها لاحمد كمال طالما هو غير تادر على
توفير الحياة البرجوازية التي تلمح فيها مثلما مثل
عايدة تمام التي تدین تصرفاتها وتحذر احمد كمال
منها .

اما الجزائر بلد الالهات القومية وازهى مسا
امتلكه الامة العربية في كعاح الخمسينات والستينات فلم
تكن سوى ديكور جامد لا يبرر نهايات شخوص الرواية،
وكانت فرصة عظيمة لو اعتبلها اسماعيل ولي الدين
ومارس دوره ككاتب يتسرب الى داخل شخصياتسه
ويتطلع الى العالم من خلالهم .. كل ما فعله انه ذكرنا
بانها كانت مستعمرة فرنسية عندها رتب لقاء الشاعر
الكبير المهدوم الهوية وغير الجبر تهداته على السلطة
مع الصبي الفرنسي الذي جاء يقضي اجازته مع امه
وزوجها المليونير ..

وهكذا نرى الشخصيات في الرواية كلها متهمه
ومدانة وقيل كل شيء مريضة ومشوكة وليس ثمة امل
في اي احد او اي شيء ، وهذا يتناقض مع مهمتنا كناس
لنا رسالة وهي جعل الحياة مبشرة بالامل واكثر
اشراقا ... هذا لا يعني ان اسماعيل ولي الدين لا يملك
الموهبة كروائي ولكنه كتب روايته وعينه على الشاشة
الفضية التي فجرت طموحه وحولت مساره في نفس
الوقت من كاتب يصول اللوج الى وجدان شعبنا
القاري الى كاتب يتهم ويدين دون ادلة او قرائن مقنعة
وهذا ما نحاول ابعاده عنه .

محمود حنفي كساب
طنطا — مصر

- (١) حديث اجرت معه سناء السعيد واذيع من القسم العربي
بالاذاعة البريطانية في ١٤-١١-١٩٧٧ .
- (٢) راجع كتابنا (رحلة الى بلاد الثلج والضب) الفصل الاول
المصادر عن المكتبة القومية الحديثة بطنطا في يوليو ١٩٧٦ .
- (٣) توفيق الحكيم كرم من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تكريما
شخصيا على روايته (عودة الروح) التي صور فيها حاجة مصر
الى معبود بقودها ..
- (٤) ترجمة يحيى حقي ، نشرت في مجلة المجلة عدد يونيو ١٩٧٠ .
- (٥) نشرت في كتاب اليوم بالقاهرة يوليو ١٩٧٧ ، وايضا بمجلة الكاتب
القاهرة في العدد الصادر في نفس الشهر .





عرس في الأغوار

موسى سمحان الشيف

شمس الاغوار الالهية تستطيع
ببسر اختراق وريقة البطم النحيفة
وتناول خرقة صفراء من جيبه ومسح
بها حيات العرق الخارجي مسعل
بحدة ، وتفحص البصاق بعناية ، ما
اكتب الأطباء ، لقد اخبره طبيب
الوكالة .. بأنه مسلول ، لقد كتم
النبا عن العائلة ، وكاد ينسى مقالة
الطبيب لولا نوبات السعال التي
تحتاج كيانه احيانا . ساستبدل
الخرقة الصفراء بواحدة بيضاء لارى
صدق الأطباء وشعر براحة خاصة
بعد السعال ، اقسام انه طبيب كاذب
والا فكيف يشخص مريض وهو لم
ير سوى وجهي ٧٠ وقت لديه ..
مئات الناس يتصفح وجوههم في
الساعة ، لماذا يثبط هبتي .. امس
ثقب الاولاد دواليب سيارته فارغى
وازيد ، واقسم انه لن يعود الى
المخيم ثانية .. « كلكم اذى حتى
صغاركم » ووجه الشيوخ لصنع
الاولاد ، وتبلاوا ذن الطبيب ، الا انه
صم الا يعود .

غلة اليوم قليلة ، بدأ الناس يملون
الغلال حقا .. الغلالون اشد
تواضعا من الطلاب ، الفلاح بلا أرض
عقده صعبة ، شيء عنيف المراس ..
استهلاك الغلال هو مقياس .. يجب
ان لا افكر هكذا .. والحقيقة انه لا
يملك وقتا طويلا كي يفكر .. « على
مهل .. على مهل .. يا ابن البلد »
لكن اقراص الحمص تحترق بسرعة ..
الزيت من جديد ، حظ طائر صغير
بحجم قبضة اليد على الشجرة التي
يتقيا ظلها .. صاحب الطائر من بعيد
هدية الانسان لطائر صيده ، ان
الامر ليس سهلا ايها الطائر الصديق ،
قد تكون من هناك .. من الساحل ..
اجل اجل .. نحن من بلدة واحدة ..
الطائر ينظر اليك .. اتحمل رسالة
الى هناك ؟ ..

وطار العصفور قبل ان يسمع
السؤال ، واعتقد بجذارة انه ليس
من الضروري أن يكون لكل الاسئلة

انتهاء الفكرة الاولى ... خقول
كثيرة ، بعد ان فقدنا الخقول بدانا
ننشئ غيرها .. الاستقرار الثالث
والاعلر ايضا .. بساتين خضراء ،
سكائن معرشة وأخرى بلا سقف ،
ما زالت الخيام في السهل .. الخيمة
ليست امرا سيئا مقولة صحراوية
قديمة .. مكان لامراء العرب عند
الصيد ووقت الفرار من هوم الرعية
المداسة .. حينما تاخذ مكاني
لتعسكر فيه للابد ، حينما تغير معالم
الحياة فوق ارضي فالامر يخلف .. ،
النار . ، لن تحول الخيام الى بيوت
.. الشكل الارقى للخيام بيوت
الصفايح ..

الرجال والنساء والاطفال السذين
ولدوا والذين لم يولدوا تجمعهم فكرة
النشر ، ما لطيب الناس في هذا
المكان ، لن تحتاج - أنت - طويلا
لاكتشاف ذلك الا اذا كنت سائحاً
غربيا تتدلى من على كتفه الساعة
التصوير ... ، المشاجرات الصراخ
الندافع المجنون حول حنفية الماء
المومية .. الشنائم الاعراس ..
وتلدغ الشمس اننه .

يحمل كل احزان العالم ، كل حريته
صفدة ، يحمل جوعه بجوار
ليليه .. هذا الزمن الاحق بقعة
يت .. ستره جندي فار نوافذ
زلك مغلقة ابدا .. انعكاس الضوء
لد فكرة جديدة لديه .. او هكذا
نيل الوقت .. يجب مغادرة هذا
مكان ، وتحطيم هذه العزلة السوداء
.. في العالم اماكن كثيرة تستطيع
تعيش فيها يا ولدي « الشاهد
كره دوما بالارض .. بجنان قيل
ها كانت ذات يوم بلاده ، لم يعش
نى هذه الارض التي يسمونها بلاده
نه لم يوجد فيها .. كم مرة سمع
سها في الخياح .. كم تحدثوا عنها
.. ، الحقيقة غبار يوم حار .. منذ
بن بعيد لم يغير بظلاله ، الثقوب
صغيرة لا تحصى .. دوائر الزيت
قد في كل مكان ، اغاتها : بظلاله ،
يونه - فهو متعدد العيون - يده ،
الحة الغلال الساخنة كانت تشده
نيرا قبل ان يحترف المهنة ، اما
ن فقد زال الطلاء ، اين يجسد
راحة ؟؟؟

وتحت شجرة بطم كبيرة تمددملنا

اجابات .. قاس الوقت يعود ملقى تحت شجرة عجوز ، تنى كثيرا ساعة يضعها فوق معصيه ، الا ان ارادة الاب كانت عكس ذلك ، ومرت سيارة تنهب الارض نها ، كانت تنجھ صوب البحر ، وعض على شفتيه ! تنزهوا ايها السعداء لا بد انهم من خارج الخيم ، فهو بحكم المهنة يعرف الجميع ، وبحكم المهنة ايضا يذك ان هؤلاء لم يسكنوا مخيما فيها مضى ...

واستطاع ان يلحقها ، فوزية صديقة الامس ، ورفيقة السرب والفقر ، نحن متشابهان يا صغرتي ، شريدان لم يكلا فرائسهما ، يجب في عينيها الراحل الدائم صوب الهضاب ، ويمسك اليد المعروقة ، يد الخادمة التي تعمل في بيت النائب المحترم ، وهي تعمل لها العياد بضعة بالغة ، اما هو فيعمل جيشا من الاطفال الذين يعنون : مجموعة اجساد هزيلة تحتاج لكوبة من الاكلام والدفاتر والسندويشات ، اما السنديويشات فأمرها محلول ، بقايا الفلافل الكاسدة ، والخبز المخمر المبيت ، اما وجع البطن الحقيقي فهو الملابس ، ومع الزمن تغلب الوالد على هذه المشكلة بشراء الملابس القديسة ذات الرائحة الكلورية .. الاخوة يدرسون ، اما هو فيحتل شتائم الوالد اذا نصقت القروش «تعريف» واحدة : «تقو ما لحية التي خلفك» ، حينها جاء والده ذات يوم يسأله مازحا : — الا تفكر في الزواج يا ولدي ؟ أخرسه السؤال والطريقة التي سبق بها ، ومن هي ام الانجال يا والدي ...

— فوزية ايها الغبي .
— لم تختار الوقت المناسب .
وعرف الفتاة اكثر ، من الطبيعى ان اذنتها بفرجة ، فقد تصبغ زوجة ، المطلوب تكثيف النسل ، فشمينا صغير وتحدياته صعبة كليات بلا مؤلف ... تشرى اينس

صاحبها .. حرارة الشمس تزداد .. الارجل تقرب ببطء ، يكاد القسيء ينفلت منه ، تنف الان قبائله .
— ما زلت في مكانك .
— وهل يذهب الامعى من الزاوية ؟
— ما الذي جاء بك الان ؟
يتكلم معها دون ان ينظر اليها ، انه يسمع صوتها ، السماء بعيدة .
— جئت احدثك في امر ما .
ونظر اليها نظرة سريعة ، كانت صفراء ...

— سحنكتا توحى بمصيبة .
— لقد عرفت ايها الشقي كلمة السر ... اريد ان اترك عملي كخادمة في بيت النائب المحترم ...
وندت عنه صرخة بسيطة .. وقبل ان تكتمل دهشته اجابت :
— لا تقل شيئا ، لقد حزنت امري ، انه قرار غير عادي .. فبالقرارات العادية لا توصلنا الى اي شيء ...
وفتح عينيه بانقضى قوة ... هل الرجل قدر لهذه الدرجة ؟
— لا تنهني قدراته او نظامته ، لقد عانيت كثيرا ، والمفارقة بين تخمينية واخرى ... كانت ...
تخصص عرفته ... انني لا اريد الاستمرار على هذا النحو ... الحياة رخيصة .

— الحياة غالية او رخيصة .. هذا ليس موضع الالم .. انما قولني من الذي سيعيل امك ؟
— سائرنا لها مبلغ خمسة دناتير ، تركة العمر كله ... ثمن عرقي سألناها اياه .. والبقية تتكفل به وكالة الفوت انها امرأة مدبرة ... النار في كل مكان ، البليدار تروج بالفرح ، الشجرة تنبؤ ، وجسدان السجين تنهد .. الفجر .. الاعتناق من زلزلة قذرة ، ليس للخيال وجود ... رسومات اطفال على رمل ابيض ، الهازيج والاحزان تختلطان الان .
ايمن ان تنهار كل هذه الحصون دفعة واحدة ؟ .. من جديد : قصص الحب الصغيرة .. قشور

البرتقال .. الوقوف امام بركة الزيت ... صناعة الفلافل ... كلها اشياء من العهد البعيد .. كلها الان دوافع .. شرايين .. تحمل دما ونقمة ... كثيرون هم الذين يقومون بعملية .. وانتفض قلبها .. ما الذي يتقصني ؟؟؟ ونظرت اليه :
— ماذا تعني ...
— كل عرق يعرف ما اريد .. منذ زمن بعيد وانا احلم في هذا الذي ساحقته الان .

وزفرت : —
— المشوار طويل .. والعائلة ؟
— لا تسأليني عن مصيرهم .. فهم كثيرون ...
ووضع يده في يد خطيبته ... وتوجهها صوب الاغوار العليا .. سارا عبر الادغال الصغيرة .. وفي غابة البنادق كان المرشد شبلا اسمر اللون ... هما الان في خيمة الرفيق علي ...
— نحن لاجئان فقيران ، ونود العمل معكم ، فهل تتحقق لنا هذه الرغبة ؟

وابتمس الرفيق : — لا احد يستطيع ان يمنعكما عن القتال معنا ولكن هناك اجراءات لا بد من عملها اولا .. وانتم تعرفون ولا شك ذلك ..
وتجيب فوزية : — نحن ابسط مما تتصور : بائع خائب وخادمة غارة ، تلك هي مؤهلاتنا ايها الرفيق ... هل للنضال من شروط اخرى ؟
— انها اجراءات من اجل امن الثورة ، ولا بد منها ، وربما يتم التثبت من ذلك ، فانتما ضيفان على القاعة ...

— ما دام الامر كذلك ، فلن نعود للخييم . اتسمع نحن غذائبان ... واستدعينا ثانية بعد ساعات .. وابتمس اللازم وهو يقول لهما : — سيكون عرسكما في الاغوار .. وخرجا مع الشبل ومعهما ورقة صغيرة ، بها اسم بعسكر التدريب وهناك تعانقا ...

موسى سمحان الشيخ

مطالعات في فلسفة «الجمهورية»

الروحانية

في غمرة الحياة اليومية

هذا فصل جديد من كتاب «الفلسفة المضمورة الجديدة» تأليف
الفيلسوف الفرنسي سونداري ، منشأة مدرسة الجوهريّة في باريس.

بمقام : سونداري

تعريب : توفيق محلي

هناك طريقتان لبدء النهار : الطريقة الصالحة والطريقة السيئة . فإذا أردنا أن يكون النهار سعيدا طيبا ، وجب علينا اتخاذ الطريقة الصالحة ، وهي طريقة سوف تكون سهلة سارة إذا نحن اتصلنا بالحياة الكونية اتصالا واعيا ، وألينا على أنفسنا ، منذ استيقاظنا من النوم ، أن نسلك بما فيه الخير .
كم من مرة أهملت القيام بذلك . . فكم كثيرا ما كنت فيها مضى أهمهم كل صباح ، على عجل وعلى سبيل العادة ، بصلاة جاهزة ، ثم أبدا في أعداد تراكيب!

(سونداري) «مربية فرنسية وهنشئة مدرسة تدعوها (الجمهورية)» وتصف مدرستها بأنها فلسفة مناقضة لفلسفة الوجودية ، وتدعو المربية سونداري الى بحث قيمة الروح في مواجهة التعلق بالنظم المادية واستلهاهم المقيم الالهية في جميع تفاصيل الحياة . وتصف سونداري الجوهريّة بأنها نظام حياة واسلوب في التفكير والحديث والتصرف يأخذ بيد الانسان نحو المساعدة الحقّة ، بإزالة عيبه الرئيسيين وهما الانانية والكبرياء ، ازالة تدريجية ، وبالممارسة الدائمة المستمرة للقوانين الالهية الكونية ، قوانين الحكمة والعدل والحب .

والسيد توفيق محلي احد اتباع هذه المدرسة ، وقد قام بنقل الكثير من المقالات والاشعار التي كتبها سونداري الى العربية ، وقد تفضل فخص «البيان» بعدة مقالات وموضوعات من ترجماته هذه ، ننشر منها هذا المقال .

شخصية ، او احل الفكر ما قد يأتي به النهار —
المشكلات .

هذا هو «الاستيقاظ بالطريقة السيئة» .

فكما ان الانسان لا يستطيع ان يخدم سيدين في آن واحد ، فهو كذلك لا يستطيع ان يقسم حياته الى اجزاء منفصل كل منها عن الآخر ، كيفما تشاء لسهـاهاؤه ونزواته . فمن المهم ان قيل كل شئ ، ان نعرف من نريد ان نخدم : الحياة الكونية ، بعد ان نضم اليها افضل ما هو فينا ، ام الدنيا وذاتها الزائفة . وهذا هو ما لا يريد فهمه معظم من يدعون انهم روحانيون ، او هو عبارة اخرى ما يخشون ان يفهموه . ذلك لانهم بوجه عام ليسوا في عجلة من امرهم للتفوق على ما هم فيه من عجز وقصور ، ويعفون بذلك انفسهم من خوض معارك لا بد منها ، ومن تحمل مسؤوليات جديدة .

ان الحكمة الدنيوية الزائفة تحول انظار البشر عن الحب وعن الحكمة الالهية الكونية ، فيعيشون منطوبين على انفسهم ، مستسلمين لذواتهم ، غير مفكرين الا في ارضاء رغباتهم الانانية . فيخصصون لمن يدعونه «الله» ، بضع لحظات في ساعات معينة ايام معلومة في الاسبوع ، لا كل ايام الاسبوع او كل ايام العمر . فاذا ما قتنا باعداد الحساب الختامي لحياتهم ، راينا اي سيد كانوا يتبعون .
انهم في الحقيقة يخشون — في هذه الناحية ايضا — ان يفقدوا الاحساس بشخصياتهم . يمسرون بعيونهم الجسدية وحدها مجرد الناحية المادية من الذات ، فيتهاككون عليها تهالكا ، لا يعلمون ان العالم الروحاني الذي نحن اشعاات صادرة عنه ، هو وحده العالم الحقيقي ، وان العالم المادي ما هو الا تابع للعالم ر حاني ، وان كل شئ هو روح ، وان المادة ذاتها «روح مكثفة» .

اذا نحن اردنا ان نكون على وعي بالحقائق الاساسية للحياة ، فعلينا ان نعود على اعقابنا ، فنشرع في فحص صادق لانفسنا ، ونظهرها ونعتمدها كل يوم بالاصلاح والتقويم ، وننظر متصلي اتصالوثنا بالحياة الكونية وبالحب الكوني ، ونهيهـا لهما ان يؤثرنا في افكارنا واقلوانا واعمالنا ، وكذلك في كل القدرات الموجودة في كياننا .

مما يؤسف له ان البشر يفضلون التعلق بالعالم المادي الجسدي ، الذي تعمودوا عليه ، واتباع طريق حكمتهم المزعومة ، التي هي امام الله حق وجنون . مع ان الانبياء جاوا لهداية البشرية برسالتهم الثابتة على السلام والسعادة والمحبة ، والتي تتضمن كسل

وسائل الخلاص مما هم فيه من عجز وقصور ، والفكك مما هم فيه من الضالعات الخلقية والجسدية والبشرية ولكن البشر لم يعيروا اذانا صاغية لتحذيرات الانبياء ، ولا نصائحهم وارشاداتهم .

لقد راي البشر من الابرار ومن الاسهل عليهم ان يكرهوا ذكرى الانبياء في تواريخ وساعات محددة معلومة ، بدلا من ان ينتهجوا بالروح وبالحق منهـاج الحياة الذي رسمه لهم الانبياء ، وبدلا من ان يسموا نحو الكمال لكي يعيشوا كما كان يعيش الانبياء . واثـر البشر ان يقتصروا رسالات الانبياء على مجرد معابد مبنية من الحجارة ، بدلا من ان يجعلوا من قلوبهم هياكل لله الحي ، يتمتعون فيها الشعلة المقدسة ، ويرون فيها القوة المحركة للكون الشخصي الصغير الذي هو انفسهم كما هي محركة للكون الاكبر باسره .

يخاف البعض — وقد تكث منهم — معارضة «القوى المعادية» ، تلك القوى التي تتمثل في افراد من ذوي النيات الشريرة السيئة ، ممن يتسكنون فقط ببحرير الممارسات الخارجية التي ينص عليها الدين الذي يعتنقونه او الطائفة التي ينتمون اليها ، وممن ينتقدون اولئك الذين يرغبون في الحياة ومقا للروح ، ويريدون ان يتناولوا انفسهم كل يوم بالتقويم والاصلاح والاستمرار في تـمار الحياة الصحيحة بفضل جهودهم . هؤلاء الافراد ذوي النيات السيئة ، الذين ينجحون بنهج الخفية في الاذيان والطوائف ، يظنون ان الحق هو في حوزتهم هم وحدهم ، وان لهم حق «احتكار» الله ، وذلك بدلا من البحث عن الحق النهائي واكتشافه عن طريق ممارسة الاخلاق والمبادئ الالهية .

يخيل الى الطائفيين انهم من «ذوي التفكير السليم» لانهم يقومون حرقيا بالافتراءات الطقسية المادية التي ينص عليها دينهم . ولكهم بعيدون كل البعد عن ان يكونوا من «ذوي العمل السليم» ، اذ يحاربون اخاهم الانسان الذي يحيا جوهر ذلك الدين بافكاره واقلواله واعماله يوما بعد يوم . فنفيسد قلوب الطائفيين وتظل ملوأة بالكبرياء وروح الدنيا . ولكن يجب علينا مع ذلك ان نحبهـم .

ان كل العصور تتشابه فيها ببنيها في بعض النقاط . وتسير الامور اليوم على ما كانت تسير عليه عند مجيء الانبياء . ولو ان الانبياء عادوا من جديد الى الارض في اجسام مادية ، لتعرضوا لقائمة من جانب المتعصبين والمتزمتين في الوقت الحاضر ، بل ربما من جانب رجال الاذيان ايضا .

★ ★ ★

لست اود ان افرض عليكم ارائي ، وانما اترك الروح الكونية والحياة الكونية والحب الكوني تسري في قلبي ، وانقل اليكم ما انتقاه . لااجادل مطلقا مع احد من الناس ، بل انتقل الجميع واحبهم كما هم ، ولا اربغ الا في مساعدتهم من قلبي كله .

طلب الي بعض الأشخاص الالتقاء بي لمناقشة ايات معينة من الكتب المقدسة ، فرددت على طلبهم هذا بما تقدم ، واضفت اليه ان الكتب المقدسة يمكن تفسيرها بطرق مختلفة ، تبعاً لما تكون عليه حالة قلوبنا ودرجة ادراكنا وتطورنا . فعندما يرغب الانسان ان يجادل حتيا في نصوص الكتب المقدسة ، فهو انما يفعل ذلك في اغلب الاحيان بروح المشاحنة والمعارضة ، ويريد ان يقيم الدليل على انه على حق ، وخصوصاً ان الطرف الاخر مخطيء . وفي هذه الحالة لا يمكن للروح ان تستخلص من قيود النصوص الحرفية ، او تبعث الحياة في هذه النصوص ، وتثير اذهان المتجادلين . ولا ينبثق النور قط من مجادلاتهم ، بل يزداد الظلام حولهم حلكة وكثافة ، وتجب القلوب في قيود التعمصب واصفاد الطائفية ، والتعصب والطائفية يناقضان للفكر الكوني الشامل ، وللمحبة الشاملة الكونية .

★ ★ ★

لقد طالما وقف الناس من الروحية عند فكرتهم الكتابية العلية ، فظلت الروحية عند الغالبية العظمى من الناس في حيز النظريات . قدمت لهم الاديان نبي شعائرها وعقائدها واحتفالاتها ، ولم يوجه الاهتمام الكافي الى ضرورة الحياة وفقاً لاختلاطاتها ومبادئها ، لكي تكون الروحية جوهر حياتهم ذاتها ، وجوهر انجازاتهم البشرية جميعها . واذا كان لدى الناس فكرة عامة عن الروحية ، الا انهم يجهلون كيفية ادخالها في حياتهم اليومية .

★ ★ ★

انتم تعرفون جميعاً مبادئ دينكم ، في خطوطها العريضة على الاقل ، وربما جالت في اعباق طوبىكم الرغبة في تخطي نطاق معرفتكم الكتابية . الا انه لم يكن في متناول ايديكم حتى الآن ، من وسائل تحقيق هذه الرغبة الطيبة ، سوى ما قراتوه وسمعتوه من الحكم الماثورة المعتادة ، التي لم يخطر على بالكم ان تتعمقوها او لم ينت لكم الوقت او الميل لتعمقها ، لذلك لا تعلمون كيف تسلكون لكي تبدوا اتصالكم الحقيقي الاول بالحياة الجوهريّة . وقد يساعدكم في هذا الصدد ما يلي :

الى ان يتفتح الإدراك الروحاني عند الانسان ، يشار على المسيحي ، قبل ان يدعي انه مسيحي ، بان يحيا

وفقاً لتعاليم المعلم عيسى . كما يشار على المسلم ، قبل ان يدعي انه مسلم ، ان يمارس اولاً المبادئ والاختلاطات التي بسطها محمد . وعلى الموسوي ، قبل ان يقول انه يهودي صالح ، ان يطبق قوانين موسى . وهلم جرا . وابتداء من الآن ، عليك ان تفكر في ان الله ، اذا كان لا يظهر لعينيك الجسديتين ، اتفه روح ، الا ان هذا لا يمنع من كونه حياً بالقوة فيك وفي اقترانك البشر ، سواء اكانوا مسيحيين ام مسلمين ام يهودا ام بوذيين ام هندوسيين . اذن فمسوف يمكنك ايضا ان تجد الله وتحمه عن طريق كل فرد منهم . اذ لا يستطيع احد ان يلتقي بالله ان لم يعرفه في خلقه . فان الواحد هو في الكل والكل هو في الواحد ، وفقاً للحياة الكونية التي غرس الانبياء فكرتها في عقولنا وفي ارواحنا .

وفي كل صباح ، عند استيقاظك من النوم ، عليك ان تتحد بالله في قلبك ، وهو قوة الحياة والحب ، ثم باخوتك البشر جميعهم ، مع توسيع افلاكك الروحية حتى تصل الى اطراف الكون . وارفع قلبك وروحك نحو الله وبثبتهما فيه ، واحمده لانه حيائك وقوتك الحية التي لا تخطيء ولا تنضب عند لحظة واحدة ، ولا يمكن لك عيشك عندما تاتيه وتتكلم عليه . اكد في نفسك بقوة واقتناع انك بفضل قدرته فيك قوتي ذو عزم وتصميم وشجاعة ونشاط ، وان تواق متجددة على الدوام بفضل طاقته الحيوية ، وانك مشبع بهذه الطاقة . فلسوف تحس عندئذ بالقوة وبالصحة وبالبسعادة تجل فيك ، مصحوبة بالسلام وبالفرح وبالحب ، فان الله هو مجموع هذا كله . وسوف تفيد من هذه النعم عن وعي وبصيرة عندما تخضع لقوانينه لان ما هو ملك لله هو ملك لخلقته ايضا . بذلك تحيا في جو داخلي جديد ، وتتبدد شكوكك ومخاوفك وتلك كما يذوب الثلج من حرارة الشمس . وسوف تؤيد الفترة العلية الكونية الموجودة فيك كل هذه التأكيدات بها يصدر عنها من ذبذبات باعثة للحياة ، في انتظار ان تصبح تلك التأكيدات حقائق دائمة مستمرة . وسوف تنتسج افلاكك وينكشف الحجاب عن عينيك ، وينشق الستار امام ناظريك ، فتعي بوجدتك مع الخالق والظليقة وكل المخلوقات .

وهكذا يبدأ لك نهار حافل في ظل الوعي بالحياة الكونية الداخلية والخارجية ، ويصبح هذا الوعي حقيقة رائعة ، تشرح لك قلبك ، وتديم فيه البهجة والبشر النهار بطلوه .

وسوف تحس بان الله هو القوة الحية التي يمكنك دائماً ان تعتمد عليها ، وتؤكد ذلك لنفسك كثيراً . وليس هذا من قبيل «الايحاء الذاتي» ، بل هو لون من التذكير الذاتي لقنواك الروحية ، من اجل تليينها ، لكي يسهل

واذا كنت تعيش بمفردك ، ففي استطاعتك ان تقف نفسك على اسعاد بعض البائسين ، فاستبد بمن سعادتهم سعادتك حين تهدي اليهم اللؤلؤة الغالية الثمن التي عثرت عليها .

★ ★ ★

وعندما يميل النهار للغب ، وتطلع الى الراحة فلتعش بالفكر كل تفاصيل نهارك من جديد ، منذ ساعة استيقاظك من النوم ، ولتنتظر عندئذ ان كنت قد عشت النهار وفقا للقوانين الكونية ، قوانين الحكمة والحب ولتعمل على ان تفعل في غدك افضل مما فعلت في يومك ، وبخاصة ان تحب افضل ما احببت .

سريان الحب الكوني والروح الالهية الكونية سريانتا حرا ملتبجا في ذاتك . وعليك ان ترتفع بعليك نحو القلب الكوني في صلاة مثمرة بناءة ، لا تطويل فيها ولا ترديد لمبارات تتلى ثلاثة الية دون جدوى او مائدة ، بينما الذهن في اغلب الاحيان مشغول بالتفكير في امر اخر . ولك ان تصلي انكما او مستلقيا او واقفا ، وفقا لاكنايات اللحظة التي تكون فيها ، ولكن الركوع على الركبتين من اجل الصلاة هو من الامور التي يشار بها اذ هو في نفس الوقت علامة من علامات الحب والاحترام ونظام وتبرين ممتاز من تمارين الرياضة البدنية .

★ ★ ★

وبالقيام بضغ حركات من حركات التنفس امام نافذة مفتوحة ، سوف يساعدك ذلك على ان تستمدن الاثير النيار الحيوي الغني المطهر ، وتطردن من الرئتين الغازات الفاسدة التي تجمعت فيها من اليوم السابق ويكون التنفس بحركتي شهيق وزفير عميقين والغسم مقفل .

وبارتشافك كوب ماء كبيرا تهضغه مضغا فيخفف ذلك من اثره على المعدة ، لمساعدة المضغ على هضم الماء قبل وصوله اليها ، سوف يؤدي ذلك الى تطهير دمك وتنقيته ، بعد ان تكون قد قمت بالاغتسال ، وبذلك يبدأ النهار بالنظافة العقلية والجسمية التي لا مناس من مراعاتها . اذ لا يمكن التطلع الى حياة روحانية اصيلة ، بينما الجسد تشوبه الاقذار ، ولا يليق بحضور الروح الالهية الطاهرة .

والامر كذلك فيما يتعلق بموضوع الملبس ، فليكن رائدك البساطة ، وهي لا تتنافى مع الذوق الجميل .

★ ★ ★

فاذا ما حققت الوحدة بينك وبين الخالق ، وبينك وبين كل الخلق في العالم ، صار في مقدورك مواجهة ماياتي به النهار من احداث ومفاجآت ، دون خوف او وجل ، اذ تصبح واثقا من ان كل الصعاب سوف تذلل على خير ما فيه مصلحتك .

واذا كنت تعمل خارج منزلك ، فليكن قلبك مملوءا بالحب والود لزملائك ولرؤوسيك ورؤسائك وفقا لمعايير الدنيا . وحالما تصل الى مكان عملك ، حي القدرة الالهية في كل واحد منهم . وبذلك تسحق ما قد تبديه اذالك الزائفة من المقاومات وتتهى للخير ان ينتصر على الشر .

اما ان كنت تبقى في منزلك ، فاعمل لما فيه سعادة المحيطين بك ، بان تعد لهم عشا جميلا بهيجا هادئا . وان احتفظت بقلبك متجها نحو الله ، وقمت بعملك في جو من الشعور بحضوره ، فلسوف يرفع الله من قدر عملك بهما يكن عملك حقيرا مملأ ، ويخفف عنك عبئه مهما يكن عبئه شاقا ثقيلا .

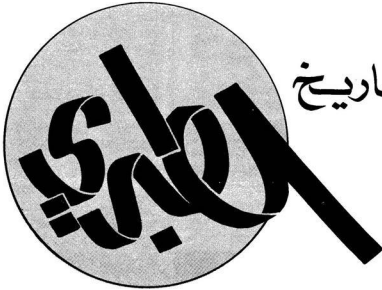
★ ★ ★

يصدر قريباً..

حوار المفكرين

تأليف
عبد زكريا الانصاري

تاريخ



أو"ديوان التاريخ الاسلامي"

بمقام: احمد حسين الطماوي

ذكره ابن اسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله عليه واله وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء في هذا الكتاب ولا تفسير له ولا شاهد عليه لما ذكرت من الاختصار واشعار ذكرها لم ار احدا من اهل العلم بالشعر يعرفها (١) وهذا مغل بالامانة العلمية ، اما الطبري فانه كان يثبت الروايات كما سمعها دون اضافة أو تعديل وفي كثير من الاحيان يذكر عدة روايات بينها غرور بسيطة كما سمعها او نقلها على مسئولية روايتها او كتابتها ، وان كان هذا التكرير في الروايات المتشابهة يبعث على الملل الا انه مفيد من ناحيتين اولاهما وفاقه بالامانة العلمية ، وثانيهما تدوين مادة غزيرة يمكننا الرجوع اليها والترجيح بينها . اما الواقدي صاحب (فتوح الشام) و (فتوح الاسلام لبلاد المعجم وخراسان) فقد كان يهمل تسجيل تواريخ بعض الوقائع والاحداث . وعلى سبيل المثال لم يذكر تاريخ وقعة الجسر (٢) التي كانت بين المنى

كتاب الطبري الذي نتعرض له بالدراسة في هذا المقال هو امثل كتب التاريخ التي اقبلت عليها الایام من ميراث القرون الثلاثة الاول في تاريخ الاسلام وما زال كتابه تترامى اليه امل الباحثين . وقد نال هذا الكتاب المحمدة لخلوه من بعض معائب كتب التاريخ الاخرى ، وتفوقه عليها ، ونظرة سريعة الى حركة التاريخ الاسلامي حتى عصر الطبري نتبين مصداق ذلك . فقد كان عوانة بن الحكم يضيق بالاسناد ، ومما يروى عنه انه ترك رواية الحديث لهذا السبب ، وكان ابن اسحق صاحب السيرة المسماة باسمه يغفل احيانا اساء الذين امدوه بمادته ، اما الطبري فقد كان حريصا على اسناد الروايات الى روايتها التي تنسب اليهم او الى الاخباريين الذين تنقل عنهم ، وكان ابن هشام صاحب السيرة النبوية يحذف ويعدل في روايات ابن اسحق التي اعتمد عليها وفي هذا يقول (٠٠) وتارك بعض ما

ابن حارثة والفرس (٣) وتاريخ وقعة القادسية بين سعد بن أبي وقاص والفرس ، بينما نجد الطبري قد دقق في تواريخ الأحداث بشكل واضح بل أنه في أكثر الأحداث يذكر اليوم والشهر والسنة . وعلى حين كانت كتب الأوائل من المؤرخين من أمثال ابن شيرة ودغغل لا تعتمد أن تكون قصصا تاريخيا يذكرونه للخلفاء ويراعون فيه ميول الحاكمين . كان كتاب الطبري موسوعة تاريخية تحرى فيها الدقة ما أمكن ولم يراع اعتبارا لأحد من الناس ، ولا أراد به التقرب لأحد من الولاة ، وإنما توجه به إلى جمهور المسلمين ، وفضلا عن هذا فقد نزه كتابه عن شذمة الكلام ، واستطاعت اللسان ، وحقيقة الأمر أن كتب التاريخ السابقة على الطبري أو المعاصرة له ليست إلا خطى تهديدية لمل هذا العمل التاريخي المتكامل . وقد وصفه ابن الأثير بقوله « ... إذ هو الكتاب المحول عند الكافة عليه ، والرجوع عند الاختلاف إليه » وتلك بعض حساسه ومناقبه .



يسمى كتاب الطبري «تاريخ الأمم والملوك» كما جاء في طبعات المستشرقين و«تاريخ الرسل والأنبياء» والملوك والخلفاء» كما ورد في معجم ياتوت للبلدان وإن كنا نرجح التسمية الثانية لسببين : الأول أن العنوان الثاني فيه من الاتساع والشمول بحيث يساير مادة الكتاب والثاني مجازاة بما اعتاد عليه معظم القدماء من تسمية كتبهم بمعناوين مسبوقة . وما يذكره القدماء عن ظروف تأليف هذا الكتاب أن الطبري قال لأصحابه : انتشظون لتفسير القرآن ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ قال ثلاثون ألف ورقة . فقالوا أن هذا مما يفني الأعمار قبل تمائه ، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال انتشظون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم قدره فذكر نحو مما ذكره في التفسير فاجابوه بمثل ذلك . فقال أنا لله .. ماتت الهمم فاختصره في نحو ما اختصر التفسير .»

وقد بدأ الطبري في كتابه «التاريخ» بعد أن تم كتاب التفسير وأنهى من تأليفه كما يفكر ياتوت في معجم الأدباء سنة ٢٠٣ هـ ، وكتاب الطبري هو كتاب في التاريخ العام ، تناول فيه بداية الخلق محدثا عن الزمان والقول في كم قدر جميع الزمان حتى يصل بنا إلى سنة ٣٠٢ هـ وقد سبقت محاولة لكتابة التاريخ العام قبل الطبري على يد ابن إسحق حيث كلفه المنصور بكتابة تاريخ الدنيا لابنه المهدي وقال له : اذهب فصنف له كتابا منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومنا هذا . وإذا كان هناك بعض المؤرخين

اعتنوا بالتاريخ الإسلامي العام مثل الواقدي والبلاذري في كتابه «فتوح البلدان» فإنه كان هناك أيضا البعض الآخر من المؤرخين يكتبون تاريخا محليا لدول صغيرة أو مدن كبيرة ومن هؤلاء أحمد ابن طيفور الذي أرخ لبغداد ، وأبي زكريا الأزدی الذي كتب تاريخ الموصل وأبن الفلاس الذي دون تاريخ دمشق وأبن عبد الحكم صاحب كتاب «فتوح مصر والمغرب» . بل كانت هناك بعض الكتب التاريخية التي تناولت جزءا من تاريخ بلد معين مثل كتاب «الولاة والقضاة» للكندي المصري وقد كانت كل هذه الأعمال التاريخية سابقة على الطبري أو المعاصرة له ، ويبدو أن المادة التاريخية الموسعة التي تحصلت لدى الطبري أثناء تفسيره للقرآن جعلته يتوسع في كتابة التاريخ على هذا النحو العام .

أما عن منهج الطبري في كتابة التاريخ فقد أعرب عنه في بداية الكتاب قائلا : « وليطعم الناظر في كتابنا هذا أن اعتادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه أنا من على ما رويت مما الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواها فيه ، دون ما أدرك بحجج المعول ، واستنبط بفكر النفوس ، إلا البشير القليل منه إذا كان العلم بما كان من أخبار الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحاضرين غير وأصل إلى من لم يشاهدوه ولم يدرك زمنهم إلا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالمعول ، والاستنباط بفكر النفوس فما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، أو يستشغفه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهه في الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا أنا من قبل بعض ناقلهينا وإنما أنا أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا » .

وواضح من كلام الطبري أنه اعتمد على السماع من معاصريه أو على النقل من كتب التاريخ السابقة عليه ويحل هؤلاء الرواة ما يعتبر رواياته من كذب أو اختلاق وأنه وإن كان قد اهتم بأسناد الروايات إلى أصحابها في الأجزاء الأولى من كتابه فإنه أخذ يميل هذا في الأجزاء الأخيرة منه وربما يكون هذا مرده إلى أنه عاين الأحداث المتأخرة ووقف عليها ولم يكن بحاجة إلى من يرويها له ويطلعه عليها ، وقد كان الطبري يتوسع في سرد الروايات دون التمييز بينها وهذا له نتائج محيرة ، لأن تفاعل الدارس للحركة التاريخية مع هذه الروايات على ما هي عليه قد يوقعه في نسي الخطأ ، وعلى المؤرخ أن يحقق ويحدد روايات مغرطة في الإبهام ، ويستسق الروايات المكتوبة ، ويحصر

على ذلك منها « فيما قبل » و « اذا كان ذلك صحيحا » (٤) وينظر في بعض الروايات احيانا ومن هذا تحقيقه لتاريخ رواية عن سلسلة بن الاكوع في غزوة ذي قرد فيقول « ينبغي ان يكون ما روى عن سلسلة بن الاكوع كان اما في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة واما في اول سنة سبع (٥) » ثم يورد حجة ، ويذكر ادلته ، وانه مهما يكن من امر فان صحة كل شيء مستحيل . وللعلمة الاستاذ على ادم راي في مادة الطبري التاريخية اثبتة في كتابه « بعض مؤرخي الاسلام » يقول « واني ارجح ان مثل هذا الرجل كان يغربل الروايات والاوائل في صمت وسكون فينفي ما بداخله الشك ، ويثبت ما يطمئن اليه ويراه جديرا بالثقة والتصديق » . وكان الطبري يمزج رواياته التاريخية بها يدل عليها من آيات القرآن الكريم ، وفي ثلثا الاخبار نلتقي مع كثير من مادة الادب الشعري التي لا تاتي للتشويق فقط بل انها تعتبر جزءا من البحث والرواية . وقد تائر كتاب الطبري في التاريخ بأخلاقه فكان امينا في رواياته نزيها في عرضه للمشاهد ، وقد جاء هذا الجهد الكبير نتيجة دافع شخصي ولم يأت بتكليف من حاكم او وال ، وكان الرجل يعيش عيشة عادية بعيدا عن زيف الحياة وزخرفها فلم يكن هناك ما يدعوه الى تطويع الروايات تكون وسيلة الى تأييد فرقة دينية محددة .

ويتناول الطبري في الجزء الاول وحتى منتصف الجزء الثاني من كتابه الكبير تاريخ الامم القديمة والانباء قبل الاسلام ، ولم يرتب الاحداث في هذه الفترات التاريخية على نظام السنين لاستحالة ذلك . وهذا القسم من كتابه لا يغني الباحث الحديث ولا يكفى حاجته ، ذلك ان المعلومات التي قدمها الطبري غير وافية وغير دقيقة لما يشيع فيها من الاساطير ، والدارس الحديث او المؤرخ المعاصر للامم القديمة يعتمد على الاكتشافات العلمية والاثريه بعد فك رموز اللغات القديمة ، والتعرف على دلالات النقوش وهو ما لم يتوفر للطبري او لرجال عصره .

اما في بقية الاجزاء فقد عرض وقائع التاريخ بعد ظهور الاسلام وتتوالى الاحداث فيه بتعاقب السنين فيجمع خليطا من اخبار كل سنة في كل البلدان ويعرضها حسب ترتيبها الزمني وفي هذه السلسلة من الاخبار والاحداث المنفصلة لا يقدم تعليلا للانتقال من حدث الى حدث وكل ما يجمع بين هذه الاحداث هو السنة التي حدثت فيها ، وهذا المنهج يجعل متابعة حادث معين او تاريخ دولة ما امرا شاقا لانه لا يستحث القارئ على الخفي في قراءة الموضوع ، وعلى الدارس اذا اراد الاطاحة بدولة معينة ان يتابع الطبري سنة بعد اخرى .

بمادته التاريخية من الخرافة والوهم ، ويجعلها تعبر عن اتجاهات عصرها ، لا عن اغراض رواها ، وانه من الطبيعي ان التاريخ في مرحلة من مراحله علم نقلني تسجيلي ولكنه يحتاج بعد ذلك الى نظر نقدي تحليلي ، فلا بد من تقدير الفعل التاريخي حسب محتواه وبقدر ما ينتج عنه لانه لا يمكن فهم الاحداث التاريخية فسي غيبة عنها ، ولا يسهل سبر اغوارها بعيدا عن عواقبها وما يتلوه من احداث ، فاذا وجدت هذه الاحداث فردا او متفرقة في شتى الكتب فعملى الذهن ان يجمع هذا الشتات جما مرتبا ويمعن علله . ولكن تيسر الطبري بحشد الوقائع والاخبار في صورتها الحسية ، وطرح الروايات المتشابهة والمتضاربة تتحدث عن المشاهد وتفسرها بقدر ما تحل من دلالات دون ان يشغل فكره في البحث عن العوامل العامة ، والعلل الخاصة ، فجعله عرضة لانتقادات كثيرة من الدارسين ، ونخص بالذكر ابن خلدون الذي شك في صحة بعض رواياته لانه لا تتوافق مع طبائع الاشياء ولا تساير حقائق الامور . يقول ابن خلدون في مقدمته : « فقد زلت اقدام كثير من الالباب والمؤرخين الحفاظ في الاحاديث والاراء ، وعلقت بملكارهم عنها الكافة من ضعفة النظر والفلة عن القياسى وتلقوها هم ايضا كذلك من غير بحث ولا روية وانفجرت في محووظاتهم حتى صار من التاريخ واعيا مخطئا وناظره مرتبكا وعد من مناهي العامة » .

ويذكر ابن خلدون في موضع اقتضى ان الطبري والبخاري وابن اسحق قد انتحلوا التاريخ لعدم درايتهم القامة بفنه واصوله وقد استبعد ابن خلدون بعض الروايات التاريخية لاعتقاده بعدم امكان حدوثها حسب طبائع العمران .

ومما يؤخذ على هذا المنهج انه لا يبين بشكل واضح وجهة نظر المؤرخ في فهم خصائص الطبيعة البشرية من خلال الاحداث التاريخية ، وفي ضوء هذا الانتقادات لا تستبين الخط الذي يربط بين البواعث والوسائل والغايات في هذه الاحداث المعروضة . ومع ذلك فعندما نقيم تاريخ الطبري يجب ان ننظر اليه في اطار حركة التاريخ العربية في عصره وقبل عصره لتعرف قدر هذا التراث التاريخي ومدى ما وصل اليه . وفي اعتقادنا ان قيمة كتاب الطبري تاتي من خلال منجزاته في ميدان الكتابة التاريخية . وعبر ما كان يطمح في الوصول اليه من تسجيل الاحداث الكثيرة التي مرت بها الامم المختلفة وعلى راسها الامة الاسلامية ويصمت هذه المشاهد حية وفي صورة مباشرة ، ووصف بسيط . ومع هذا كان الطبري يثبت بعض الروايات مع ابداء قدر من الشك فيها ، فيذكر في ثلثا السرد عبارات تدل

وقد اشار ابن الاثير الى هذه الطريقة وانتقدها قائلاً « ورايتهم يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ، ويذكرون عنها في كل شهر اشياء فتأتي الحادثة منقطعة لا يحصل منها على غرض ، ولا تفهم الا بعد امعان النظر » .

ومن المؤرخين المسلمين الذين ساروا على نظام السنين الهيم بن عدي وعمار بن وسية وهما سابقان على الطبري وقد يكون تأثر بهما ، الا ان كتاب التاريخ الاخرين كانوا يراعون الترتيب الزمني ويتتبعون تواريخ الفتح في كل البلدان فلا نشعر بالتقطيع والتدابير مثل الواقدي والبلاذري وابن عبد الحكم، ولكن مثل هذه المعيوب لا تجعلنا ننكر ما بذله من جهد ومجادلة ، وما كابدته من بحث ودؤوب ، واستقصاء ضمن في جمع هذه الروايات مما جعل أحداث التاريخ عبر مئات السنين تتكشف وتقع تحت نظرنا في عدة آلاف من الصفحات ، وهذه المثالب تهون امام القيمة الكبيرة لكتابه التي تتمثل في اهتمامه الجم بفترات طويلة من الزمن ، وبعديد من الشعوب والأمم ، استطاع ان ينقب عنها ، ويجمع شواردها ، ويستجلى غوامضها ، وسجل كل هذه المادة فحفظت من الضياع مما يسر لنا بعد أكثر من الف عام الوصول اليها والوقوف على أخبارها والتأمل في أحداثها ، والتعرف على الفكر السائد والآراء الغالبة في كل فترة من الفترات والاتجاهات العامة ، والحضارات البائدة . وعلى سبيل المثال حفظ كتاب الطبري جزءاً من كتاب ابن اسحق الذي تناول فيه التاريخ الجاهلي وتاريخ الحضارة العربية البينية قبل الاسلام وهو الجزء الذي حفزه ابن هشام بما دعا بعض الدارسين الى القول بأن الطبري وابن هشام يكمل أحدهما الآخر فيها يختص بكتساب ابن اسحق المفقود (٦) .

وقد وجه الطبري اهتمامه في تاريخه بحياة الرسل والملوك واعتبرا جوهر كتابه ولب موضوعه ، واستتبع ذلك عنايته بالتقليات السياسية ، والتفسيرات الاجتماعية .

واهم ما نتعرف عليه في هذا السفر الكبير هو تاريخ الاسلام في مختلف ادواره واطواره وكيف شقت الدعوة المحمدية طريقها الى شعوب المشرق والمغرب ، وكيف تغلبت على العقبات والمعتقدات السائدة ، والمذاهب الجائدة ، والنظم القبلية . وتكون بعد جهد طويل مجتمع انساني جديد وحضارة زاهرة اتسمت بالطابع الاسلامي . والى جانب هذا سجل الطبري الاخطار والحوادث التي كانت تهدد المجتمع الاسلامي ، وارش لبدليات النحل والتفرق ، وذكر العناصر الشاذة التي عملت في الامة الاسلامية حتى كادت تذهبها من التدهور والسقوط ، وان كان كتاب الطبري يشتمل على تراجم

الابطال والمؤيدين والمقاتلة الخالدين من امثال الخلفاء الراشدين ، ومعوية ، وعمر بن عبد العزيز والمنصور ، فانه يحتوي ايضا على اخبار الصقي والمخربين من امثال المرتدين ، والرواندية والفرافطة . واذا كسان الكتاب الذي نتاوله بالدرس قد اوضح اثر العرب في تاريخ الاسلام واعلاء رايته فانه لم يقل من تأثير الامم الاخرى وخاصة الفرس ، ذلك انه لا يمكن اغفال اثر رجال هذه البلدان في تنوع تاريخ المسلمين .

وان ما ينبغي فينا بعد قراءة كتب التاريخ ليس هو الاحداث متفرقة او مجتمعة في حد ذاتها ولكن ما يترسب في نفوسنا بعد هذا التامل الطويل من معرفة العوامل التي حركت الاحداث ، والقيم المخلفة المستوحاة من حياة الناس في حركتهم التاريخية عن البيئة والزمن ، والالام بمعايير ارجال الذين صنعوا التاريخ ووجهوا الشعوب ، ومن ثم يتحول التاريخ من احداث الى قيم ، ومن معرفة واحاطة الى تبصر واغادة ، وهذا جهد خاص يبذله القاريء او الدارس حتى تتكون ثقافته ومعارفه ويستفيد به في خبراته وتجاربته .

- (١) مقدمة سيرة النبي لابن هشام .
- (٢) النظر كتاب « فتوح الاسلام لبلاد المعجم وفراسان » طبعه المحرسة بصر سنة ١٢٠٩ هـ ١٨٩١ م .
- (٣) كانت رقعة الضر لي شهر شعبان سنة ٥١٢ هـ .
- (٤) تاريخ الطبري ص ٢/٤٩٣ .
- (٥) المصدر السابق ص ٢/٥٩٦ .
- (٦) مرجعيات « دراسات عن المؤرخين العرب » ترجمة د. حسين نصار .



المسرحية الكلاسيكية في انكلترا

بعض شكايب

ARCHIVE

الدكتور عمر الطائب

باته كاذب . ومثال ذلك الفصل الاخير من مسرحية (الملك لير) فهنا نجد ان انتصار ادجار وموت ادموند والاخين كادا يجعلاننا ننسى المؤامرة المبررة للقضاء على حياة الملك لير وكورديليا وحتى عندما نذكر بها يظل ثمة مجال للامل في ان يصل ادجار في وقت يمكنه من انتاذهما ، وبالرغم من المأبى بسير المسرحية الا ان دخول الملك لير المفاجئ حاملا بين ذراعيه جثمان كورديليا يصدهنا . (٢) ويعمد شكسبير الى توسيع نطاق الكارثة — لا الى تجفيفها كما يفعل الكلاسيكيون في مآسيهم — بحيث تشغل مساحة كبيرة جدا وبهذا يقتضب ذلك القسم الصعب الذي يراد به اظهار تطور العمل المضاد . وهذا لا يتأتى الا حين توجد الى جانب البطل شخصية تشغل اهتمامنا الى اقصى حد ويكون مصير البطل مرتبطا بمصيرها . ومن ثم فان قتل ديدمونة تفصل بينه وبين موت عطيل

لقد خرج شكسبير على اصول المسرحية الكلاسيكية . لذا عد ادب شكسبير جسرا بين الكلاسيكية والرومانتيكية فقد ضمن بعض مسرحياته مناظر المعارك وهو وان عد خروجاً منه على قواعد الفن المسرحي الكلاسيكي الا انها كانت وسيلة فعالة في استجلاب اعجاب المشاهدين كما فعل في مسرحيات (ريتشارد الثالث ، يوليوس قيصر ، الملك لير ، ماكبث انطوني وكليوباترة) فنجسد ان ريتشارد وبروتوس وكاسيوس وماكبث يموتون في ساحة المعركة. (١)

كما نجد ان شكسبير لم يسر على هدى الكلاسيكيين في احوال المفاجأة عن طريق الكوارث ، بل هو يجعلنا نحس انها لا مفر منها ، فقد يحدث عندما نخشى وقوع الكارثة لاننا نحب البطل ان نجى لحظة قبيل وقوعها يومض فيها قوس من الامل الكاذب فيضئ النظر المدهل ولكنه يؤثر فينا بالرغم من علمنا

لانه كان ينجح الى ملاحظة مميزات الفرد البارزة فقط او يراعي طابع العنف في شخصية من الشخصيات الشاذة التي كان مولعا في رسمها داخل مسرحياته. ويهمل العوامل الاساسية المشتركة بين جميع الناس ويغفل الحب . وجونسن في هذه الناحية اقل كلاسيكية من شكسبير . لقد ادخل جونسن في عرضه للحياة المعاصرة نظرية ثابتة في المهارة تعتمد على فكرة الامزجة وهي فكرة ناتجة عن تقاليد لاتينية منحرفة من العصور الوسطى وكانت شائعة في العصر الاليزابثي (٧) ولكن سرعان ما سما جونسن الى منزلة الملاحى الراقية في مسرحية (فولبوني ١٦٠٦ ، ايسن ١٦٠٩ الكيماي ١٦١٠ ، سوق بارثليميو ١٦١٤) وهي من ابرز مسرحيات عصر النهضة فلا نجد في هذه المسرحيات سلسلة من شخصيات المزاج فقط . بفضل قوته قد احكم انشاءها جميعها فظهرت وكأنها قصر روماني وكل شيء فيها اصلي : موشوعها وحكيته وشخصياتها وهي من نسج خياله او مستوحاة من دراساته للطباع الشاذة . وتتخلل مسرحياته نظرة ساخرة مع ان خشونة قد وزعت عليها توزيعا غير عادل . فسي (الكيماي) مثلا يفضح الخدامين والمخدومين . الذين يجمعون المال عن طريق التغيرير بالناس والركل الذين يتقدمون انفسهم ضحية للخداع لانهم يطعمون في الثروة السريعة . وهاجم جونسن في مسرحية (سوق بارثليميو) النزعة التطهيرية التي كانت قد اخذت تنمو في ايامه ولم يكن يرى فيها غير الفساق فزودته بشخصيات كاريكاتيرية غريبة .

وقد كتب جونسن مسرحيتين مأساويتين تاريخيتين (سجاسن) ١٦٠٣ و (كانلين) ١٦١١ . وقد كتبها بقصد منافسة معاصريه واسميا شكسبير اذ وجد في مسرحية يوليوس قيصر لشكسبير خروجا عسى تقهر التاريخ الروماني بسبب خلطه بين القديم والحديث حيث جعل روما تشبه لندن . اما جونسن فاراد ان يقدم للجمهور روما القديمة مدللا على ذلك بالمصادر اللاتينية التي اعتمد عليها . ولم يحاول جونسن فيها ان ينزل الى مستوى الجمهور بعد ان يشن من صلاحه لذا نجده ينع مفهومه الخاص للباساة السينيكية . فقد ادخل الشبح واستعان بالجوقة بين الفصول والتزم بالامانة التاريخية لنقل الحدث وخطب شيشرون ، مما انسد على المسرحية تصحيحا من النجاح (٨).

وقد هاجم جونسن (توماس دكر) ١٥٧٠ — ١٦٣٢ واعتبره خياط مسرحيات رديئا ، نتاجه ارتجالي يطفح بالاحداث والاشياء الفسدة . ومع كل ما قاله عنه جونسن فالكاتب لا تنقل كاهله والتحليل النفسي لا يتقله وهو على احسن ما يكون حين يدون مشاهد

مسافة ما . (٩) كما اننا نجد شكسبير لا يوازن بين المشاهد في بعض مسرحياته وخاصة التاريخية منها ويعد هذا العمل عيبا كبيرا في البناء المسرحي الكلاسيكي . او انه يلغي المناظر اذا كانت المادة التاريخية غير درامية كما هي الحال في الجزء الاوسط من مسرحية انطوني وكليوباترة فقد جعل هذا ممكنا عن طريق عدم وجود مناظر ولا شك انه استخدمها لانها كانت اسهل وسيلة للخروج من المازق وهذا يذكركم بالترتيب القصصي البحث الشائع في مسرحيات القرون الوسطى . (٤)

ولم يحتفل شكسبير كثيرا بوحدتي الزمان والمكان ولم ينتقد في نظم الشعر بالقوافي ولا باصول المنطق بل كان شعره فيضا من نفسه لا يكاد يرتبط الا بالاوزان لذا كان شكسبير اماما للرومانتيكيين حينما كان يضيق النقاد بقواعد الكلاسيك وحينما كان يثور الشعراء على قواعد المنطق واصول الفن كانوا يفرعون السى شكسبير فكان شكسبير عظيم الاثر في تغذية الاتجاهات الرومانتيكية التي قامت في اوروبا . (٥) ولعل خروج الادب الانكليزي على القواعد الكلاسيكية يعود الى تأثير شكسبير على هذا الادب الذي طبعه بطابعه حتى ان المحاولات للنسك بالقواعد الكلاسيكية التي ظهرت في اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر باءت بالفشل نتيجة للمودة المستمرة الى اعمال شكسبير التي كان يفضلها الجمهور على غيرها

كان (بن جونسن) ١٥٧٣ — ١٦٣٧ من أشد خصوم شكسبير ، فقد اعتبر نفسه تلميذا للقداسي واراد اصلاح المسرح طبقا للاساليب الكلاسيكية ، ووقف جونسن ضد المسرح الاليزابثي وخالف الذوق العام في ذوقه وافكاره وعقائده التي اقتبسها من القداسي فاذا كان شكسبير قد سار مع ذوق الجمهور فقد وقف جونسن بثقله ضده . فقد كان ذا معرفة جيدة باحسن الكتاب الكلاسيكيين ، وباساليب القدماء فهو يؤكد في مقدمة مسرحيته (فولبوني) ١٦٠٦ على تمسكه بقوانين الزمان والمكان والاشخاص وانسه لن ينحرف عن اية قاعدة اساسية ، فلكل مكان ملته الاعلى في كتابة مسرحياته ، ان يكون لكل مسرحية فعل مسرحي واحد يمثل في مشهد واحد وفي فترة لا تزيد على اليوم الواحد . (٦)

ونستدل على ان جونسن من اتباع الكلاسيكيين القداسي ، في اختفاء العنصر العاطفي كلية من مسرحياته ، وانتصاره على المهارة ، وقد قلد جونسن في ملايحه ارسطوقا فالف (بذخ سنثيا) ١٦٠١ ، (الشويمر) ١٦٠٢ ، وهاجم فيها كتاب المسرح فسي عصره ولكنه بعد فيها من الطبيعة بمعناها الكلاسيكي

يختلف مسرح (جون ويبستر) ١٥٧٥ - ١٦٢٥ اختلافاً كلياً عن المسرحيات الانكليزية السابقة عليه لإبتعاده عن الصناعة اللغظية والتعقيدات الفكرية وبرهن على مقدرة مسرحية فائقة . (١٤) وقال (البوت) عن الصفات المميزة لطيفة ويبستر من كتاب المسرح : « فهمهم الفني وإقبالهم على الجمع بين كل أنسواع التأثيرات الفنية في أن واحد وأعراضهم عن تقبل أي قيد أو تحديد والإلتزام به » . (١٥) وترجع أهمية ويبستر إلى مسرحيته (الشيطانة البيضاء) و (دوقه الماني) . وقد عرض في الأولى شخصية الحساء الإيطالية (فيتوريا اكورامبوتا) التي كانت حياتها فضيحة روما في نهاية القرن السادس عشر ، وقد سلب ويبستر الضوء على جرائها وهو يشعرنا أيضاً بسحر فطنتها وطموحها وروحها التي تواجه اليأس وتكافح ضده ، فهي تواجه الحكام بأسلوب رائع وتسدل إلى تحورهم التي يوجهونها إليها . (١٦) ومثلها مسرحيته الثانية التي تدور حول دوقه أحبت خادمها فدمعها أخوها إلى الجنون . أن ملخص عقدي هاتين المسرحيتين يبدو انهما لا يتعدان حدود العقد الميلودرامية التي تتصف بالابتعاد عن الواقع والعنف الشديد إلا أن روح ويبستر الهادئة وملكته الشعرية القوية ترتفع بهما من مستوى الميلودراما إلى عالم المأساة ولكن ينقص مسرحه التقدم المطرد للميل المسرحي ، فجات مسرحياته مفككة مشتملة ينقصها الأحكام فهي أشبه بتكديس على غرار ما يحدث في طراز المهار القوطي منها بعرض متصل يتطور وينمو نحو ختام واحد مفرد . كما ينقصه حسن التركيب فالمؤلف لا يبالي بالمقدمة بأكملها قدر مبالاته بالمشاهد المسرحية ذات الواقع العظيم في النفوس . واهتمامه بالعرض الدقيق للشخصية لا يوازئ اهتمامه ببعض لحظات العواطف الجاذبة . أن جو مؤلفات ويبستر الاختلافية يختلف عن جو مؤلفات شكسبير فلدى الأول يشكل الحب الموضوع الوحيد للمأساة ، أما الشر فزعم أنه يلقى جزاءه في النهاية فانه يوجد في كل جزء من أجزاء الفعل المسرحي . فعلى الرغم من القوة الوحدانية التي تسيطر على العالم والدواعي الفاسدة التي تسير الشخصية فان الجسارة والكرامة تضفيان مسحة من العظمة على حياة الشخصية رغم انعدام الفضيلة والنبل لديها . ويوحى لنا ويبستر عبر مقلوعاته الشعرية في مآسيه ان الحياة تبعث على الإشتاق دون أن يؤدي ذلك إلى الهبوط إلى مستوى العواطف السطحية والتأكيد على أن العنف والفساد والعواطف الجامحة أمور لا بد منها في الحياة . (١٧)

وتبرز في أسلوبه صفتان مميزتان اولاهما أن الحوار كثيرا ما يكون كثير الالتفات والتعقيد وفي الفقرات التي

الحياة يصف فيها اناسا احياء تستطيع ان تشاركهم في عواطفهم فهو مثال للكاتب الشعبي ، له موهبة درامية فطرية وطابع رومانتيكي تلقائي ، وهو يشبه (يوبرت كرين) من هذه الناحية إذ يجمع بين الواقع المألوف والعاطفية العنيفة . وقد اتصف بالرفق والاعتدال طيلة حياة الفتر التي عاشها . (١٨)

وأشهر مؤلفات ذكر مسرحية (الموسم الشريفة) وتقع في جزئين يصور الجزء الأول منها كيف أن الماهر تستجيب للحب فترجع عن عراها ، ويصور في الجزء الثاني كيف أن الحب يدفعها إلى الرذيلة ثانية . وتعد هذه المسرحية نموذجا للمسرحية العائلية ، ويضفي ذكر على النهاية جوا من السذاجة والسحر الرائع وتفيض مشاهدتها بالمواقف الفكاهة الناجمة ، وتمتاز بقوة تصوير شخصياتها وخير مثال على ذلك مسرحيته (عطله الاسكاني) وتعد من مسرحيات الملهة الواقعية ، لكن جوها يختلف عن جو مسرحيات السلوك التي كتبها جونسن واضفى عليها طابعاً اخلاقياً . (١٩)

ويعد (توماس هيود) ١٥٧٥ - ١٦٢٣ شكسبير النثر كما وصفه (لام) وهو الذي سار به (المسرحية العائلية) إلى الامام . فهو أكثر قدرة على كتابة المسرحية البرجوازية الصحيحة لأنه يستطيع فهم بعض الاحيان أن يتخلص من عنصر العاطفة . وكان يسعى إلى ترضية أدواق المشاهدين من سكان المدن وهو يستقى موضوعاته في بعض الاحيان من التاريخ الانكليزي معتدداً على العاطفة الوطنية او البروتستانتية لدى جمهوره ويتقصر في اوقات أخرى على الشهور الصادق عندهم . (١١)

وأفضل نجاح حققه هيود في المسرحية العائلية مسرحية (امراة تقتلها الشفقة) التي ملئت عام ١٦٠٣ ، وقد ارتنا هذه المسرحية صورة عائلة سعيدة وقد دمرتها الخيانة الزوجية ، وتصف لنا الام الزوج الذي يتكفى في انتقابه بطرد زوجته ثم توبخ ضيورها الشديد فوفاتها في اللحظة التي يغفر لها زوجها . (١٢) وقد فضل هيود من سبته بأنه خفف من شدة انتقام الزوج الخدوع التي كانت تعالمنها في المسرحيات السابقة عليه وبدل كان الانتقام الوحشي بمنصري الشفقة والفقران . لقد كان دليل هيود رقة فطرية وشفقة واسمعة لا تشبهان في شيء صراحة النزعة التطهيرية . (١٣)

ولكن ما أن حل القرن الثامن عشر الا وظهرت المسرحية العائلية من جديد تلك المسرحية التي عبرت عن مصالح الطبقة الوسطى لان المرحلة التي تلت مسرحيات هيود والتي قدم فيها (ويبستر) مسرحياته ومن تلاه من الكتاب كانت أقرب إلى روح المسرح الشكسبيرى .

مقدرة فورد على كتابة المساة فهي من ماضي الفزع التي تسبب بالعواطف فيستعاض بها في النهاية عن القيم الاخلاقية . ويسودها جوشبيه بالجو الرومانتيكي الذي يبرر الحب المحرم بين (جوفاني) واخته (انابيل) في مسرحية (وا اساء انها ااهرة) التي يتميز شعرها بالقوة والمثانة الا ان مشاهدتها ذات التركيب الغريب مليئة بمنابر الفزع التي تصل ذروتها في المشهد الذي يقتل فيه (جوفاني) (انابيل) ويهرع الى الضيوف شاهرا سينه الذي يحمل قلبها في نهايته . (٢٣) وقد امتازت هذه المسرحية بالمشاعر القوية التي لا يمكن مقاومتها فقد اعيدت هنا — وبعد جيل — العواطف العنيفة لروميو وجوليت ولكنها ملطخة بالخطيئة . وتتعاظم الميلودراما في هذه المسرحية الا اننا نجد في شعور الجبرية الذي يسود المسرحية شعرا حقيقيا . ان الاثر الذي تحدثه كتابات فورد عظيم بقدر ما هو مؤلم ، وطابع مسرحياته جاف قاس عديم الحركة صاق . ثم ان اصراره على تصوير مشاهد العذاب سواء كانت شاذة او جميلة هو دليل على التدهور ولكنه كفتان يحثل منزلة عالية . (٢٤)

وهكذا نجد بوادر الرومانتيكية كانت موجودة منذ العصر الازباني ، فنحن لا نجد التزاما جافا بالقواعد القديمة بالإضافة الى ظهور (المساة العائلية) (والمساة الكوميديية) وملامح (الميلودراما) في فترة سابقة على تطورها الذي ساد الادب الاوروبي في القرن الثامن عشر .

والميلودراما : مسرحية شعبية ، تبدأ وقدتجمعت النذر بان كارثة على وشك الوقوع ثم تحدث الكارثة فعلا في الفصل الثاني فيبوت بعض الناس من يحيمهم البطل ولكنه على استعداد لنسيانهم دائما اذا عادت حبيبته او اذا قتل غريمه ، وفي الفصل الثالث يتزايد عدد القتلى ويتزايد الموقف جدا ويزداد الامر غموضا والتباسا ، ويظهر البطل في صورة انسان شديد السذاجة والبراءة وهو يواجه غريمه الشرير الذي الحاقق ، ولكن البطل رغم ذلك فهو شجاع الى درجة مخفية يستطيع ان يقتل غريمه ببساطة في الفصل الاخير ويحتاج الموضوع الميلودرامي الى حوار متدفق شديد الحيوية والى تجنب المواقف الفاترة وتمتاز لغتها بأنها بسيطة وليست عالية كما في المساة لكي تكون قريبة من ادراك الجماهير الشعبية التي ترتاد مثل هذا النوع من المسرحيات .

اغلقت دور التمثيل عام ١٦٤٢ بمرسوم عن البرلمان جاء فيه : «ان روح اللهو والنسيلة العامة لا تنسجم ونواجع العصر الذي نعيش فيه كما ان التمثيليات المسرحية لا تتفق وروح التواضع» الا انه

يغلب عليها الوصف يستدق الحوار حتى ليكون في حدة الحكم القاطعة . وصور مفرداته تأتي مبالغاة ومتنوعة كثيرة التورية مثيرة للحواس . وثانيهما ان فقراتها الرائعة غالبا ما تكون شديدة القصر تنسق بأسلوب متوتر . واذا طالت الاحاديث كانت ايا وصفا مقصودا وهي تكون عادة بالثر واما قطعها جاهزة كرواية حلم او حكاية او عرضا مدروسا لقضية في قاعة محكمة (١٨) وشخصياته لا تقوم فقط على اساس ما بينها من تعاطف وتنافر بل نجد ان قصة كل منها مرتبطة ارتباطا لا انفصام له مع قصص غيرها من الشخصيات بحيث تصبح كل حادثة سببا ينتج عنه حوادث اخرى ، وقد اوضح ويستر ان ما ياتيه شخص لا يقتصر اثره عليه بل يمتد الى غيره من الناس ، ان فعلا سيئا واحدا يجلب معه سيئات اخرى . (١٩)

ظهر (جون فلجير) ١٥٧٩ — ١٦٢٥ (و فرانسيس بومونت) ١٥٨٤ — ١٦١٦ في اواخر حياة شكسبير المسرحية وكتبا العديد من المسرحيات المشتركة وندماها بناء على حاجة الممثلين والمسارح انذاك . وقد تناول الكاتبان بسخرية لطيفة رغبة المواطنين الجنوبية في الامور الرومانتيكية السخيفة كما سخرنا من غرور الناس وكبريائهم (٢٠) . وجاءت مسرحيتهما (فلاستر) ١٦١٠ مبشرة بالمساة الكوميديا التي ازدهرت في القرن الثامن عشر . فنحن نرى ان المشهد بعيد عن الواقع وان كثيرا من الدواعي فيها تتشابه مع دواعي الملهة الرومانتيكية على الرغم من ان موافقتها المتعددة كانت تقدم على المسرح بنفس الجدية التي تقدم بها الماسي . وليس لشخصيات المسرحية من القوة ما يسمح لها بالوقوف بهغرها فهي وجدت لتؤدي دورها في المشهد الذي تظهر فيه ونعندما تتساقط خارج هذا الاطار المزدهم بالحوادث في نهاية المسرحية يبهلها الكاتب وكانها لم تكن موجودة سابقا . (٢١) ويختلف مسرحهما عن مسرح شكسبير بخطورة موضوعات مسرحياته وتركيزه على العناصر الشاذة وحل العقدة بصورة اصطناعية وليس عن طريق الموت ولا يتم تصوير الشخصيات عن فكرة واضحة لان اهتمام الكاتبين ينصب على الحوادث دون الشخصيات . (٢٢)

كتب (جون فورد) ١٥٨٦ — ١٦٤٠ مؤلفات تصنف بالطابع الفردي ، كان فورد يؤمن بالقدر ويتصف بالكآبة ويحقر الناحية الخلقية يؤمن ان المشاعر ببركل شيء ، تجذبه الامور الشاذة الغريبة ومع ذلك فهو شاعر حقيقي تمتاز مؤلفاته بالعناية والتناسق وضبط النفس . وتمتاز جميع مسرحياته بمعالجة ماهرة للعواطف واسلوب انيق . وتبين لنا مسرحية (الطلب الكسير)

الاعتباطية الطارئة بدعاة لاضفاء صفة الهزل والفكاهة على شخصوها . كما تختلف الملهاة عن مسرحية (المكائد) التي تنتهي نهاية سعيدة والتي ادخلها النقاد ضمن نطاق الملهاة لسهولة التصنيف . اما (الملهاة) فتعتمد على فهم عميق للمجتمع وان تكون مرآة صادقة تعكس لنا انحراف العصر عن الطريق السوي وابتعاده عن المفاهيم المتعارف عليها . وقد كانت ملاهي عودة الملكية تتعلق بالانتماء — من الاداب الاجتماعية والافتقار الى سرعة البديهة . واذا انصمت ملاهي عصر عودة الملكية بالخلاعة فذلك يعود الى انها مستمدة من روح المجتمع الانكليزي انذاك . ويختلف (كونتريف) عن شكسبير في انه صور في مسرحياته عالما واحدا فقط وقيما ومعايير معينة حيث تتسود مفاهيم مقننة وهو عالم لا تدخل الاحزان والفواجع اليه كما ان اظهار المواقف فيه يعتبر ذوقا غير سليم . الا ان الظرف والظلمة امران لازمان له ، وان طريق المواضيع الاخلاقية لما يبعث على الملل والسأم وينبغي بالدرجة الاولى ان لا تميز الاحاديث بالمراحة(٢٨). اما (جورج فاركو) ١٦٧٨-١٧٠٧ فقد اشترك مع (كونتريف) في النهج الخليع الذي كتب فيه مسرحياته ولكن تفتقر مسرحيات (لملهاة الاداب) التي كتبها الى الجو النفسي ، وهو يستخدم اسلوب المهازل لا من الملهاة كما انه لم يلجأ الى اثاره المواقف الا نادرا وهي الموجة التي طفت على الادب المسرحي فيها بعد.(٢٩)



ومن الالوان المسرحية التي ظهرت في عصر عودة الملكية (المساة البطولية) وهي تعالج موضوعات الحب والشرف بأسلوب فخم مؤثر في مشاهد غير واقعية ، وقد اهتم بها الكاتب والناقد (درايدن) ١٦٣١-١٧٠٠ . وهي تعالج موضوعا نبيلًا بأسلوب نبيل وهو الشعر الذي يربط الغاية بين كل بيتين من ابياته ويجدر بهذا النوع من المسرحيات ان تعالج موضوعا واحدا من الاحتفاظ بقانون الوحدات المسرحية قدر الامكان وقال فيها درايدن : « ينبغي على المسرحية البطولية ان تحذو حذو اللحام الشعرية بعض الشيء » وقد اخذ عن «أرسطو» انه ينبغي ان يكون الحبيب والشهامة والشرف اساسا للفعل المسرحي . وقد كتب درايدن عن مسرحية (فتح غرناطة) التي ظهرت عام ١٦٧٠ وهي اشد المسرحيات البطولية خيالا واكثرها اطنابا «ان كان الحب والشرف قد وصلا مرتبة سابعة فليس الفصل في ذلك للشاعر وانما الى العصر الذي يعيش فيه . ان الذكاء والفطنة قد وصلا

بالرغم من ذلك فقد تم تمثيل بعض المسرحيات بصورة خصوصية وتم طبع عدد منها رغم خطر تمثيلها . (٢٥) لقد بدأ الخصام بين جماعة المتطهرين — الذين ازداد نفوذهم في عهد كرومويل — والمسرح منذ نجاح المسرح الشعبي في كسب محبة الجمهور . وطالما كان المسرح يحبه الملك والرأي العام فقد شعر الكتاب والمثلون بانهم من القوة بما يجعلهم قادرين على ان يستنزوا بخصوصهم وينحذروهم ويثيروهم بغضائهم . فلما اعتلى المتطهرون كراسي الحكم غفقاو دور التمثيل وبقيت مغلقة ثباتي عشرة سنة حتى اعيدت الملكية السى بريطانيا . (٢٦)

عاد الملك تشارلز الثاني الى عرشه عام ١٦٦٠ وعاد معه جماعة من فرسانه الموالين الذين شاركوه المنفى في فرنسا . وقد انضم هؤلاء الى الكثيرين من بني وطنهم الذين يتوقون الى احياء المسرح ، وكان جمهور المسرح يتكون من فرسان الملك وقلة من اهالي لندن ، لذا اتجه كتاب المسرح الى مسرحيات صاخبة تستهوى جمهورا ينزع بطبيعته الى الصخب والمجون ، وقد اختلف المسرح عما كان عليه في عصر الازبالي من عدة وجوه :

اولا : اصبحت المسرح مستقوما واخضت المسرح المكتشف بما يمكن اضافته .
ثانيا : ادخل المناظر والديكور مما خفف على الكاتب الاسهاب في وصف مكان الحدث .
ثالثا : الميل نحو المبالغة واصطناع الحبكة والشخصية رابعا : ادخل العصر النسائي بعد ان كان الفلبان يقومون بادوارهن .

خامسا : تقديم غوامل موسيقية غنائية راقصة بين فصول المسرحيات العادية استجابة لرغبة جمهور سئم المسرحيات التقليدية باصولها وتبودها ، اذ كان رجال العصور ونسائه يحبون المشاهد الاستعراضية وكانت الموسيقى والرقص يستهوئهم . (٢٧)

ومن ابرز كتاب عودة الملكية (جورج ايرنج) ١٦٣٥-١٦٩١ ، الذي تأثر بملاهي موليير رغم انه لا يتصف الا بجزء يسير من براعة موليير وافتقاره الى رفته ، وقد استقبل الجمهور مسرحياته بحماس وقد بدأت (لملهاة الاداب) بالظهور ، وسار (وليم ويجرلي) ١٦٤٠-١٧١٦ في نفس الطريق في جميع ملاهيه التي قدمها ولكنه كان اكثر براعة من سابقيه في البناء المسرحي . واخر كتاب مسرح (لملهاة الاداب) في فترة عودة الملكية (وليم كونتريف) ١٦٧٠-١٧٢٩ ، وايرزهم في هذا المجال . فقد اختلفت ملاهيه عن المهازل المسرحية التي كتبها معاصروه ومن سبقه في المسرح الانكليزي . فالملهاة تختلف عن (المهزلة) لان الاخيرة تجعل الحوادث



من وحي تجربة فوق العادة

شعر

مصطفى أحمد النجار

ساعيش الآن فلا حزن ويرفّ شرعاً ... تابوت
فالموت مضيّ وجميلّ، وخلود إنّ نحن نموت
يا رحلة حبّ أبديّ، بتحرر قلبي المكبوت
يا رحلة أشواق عليا، « يا يونس » أخرجك الحوت
توقّأ احثائي فيها صلوات خضر ... ملكوت
انذركها دنيا أسنت، هدر العمر « الكبريت »
انسامي .. اتفياً نورا كم عانيت الإه شقيت
وأردد يا شوق الروح، يا ظمأ .. وسقيت سقيت
لا يفنى من عشق الله، وتموت الأهواء تموت

مصطفى النجار

— حلب —

منزلة أعلى مما كانت عليه وإن لفتنا القومية أصبحت
الشد رقة وانطلاقا». (٣٠)
ونائر درايدن بشكسبير في كتابة مسرحيته (نسي
سبيل الحب) المستمدة من مسرحية شكسبير (انطوني
وكليوباترة).



- (١-) برادلي النراجيديا الشكسبيرية ص ١٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٢ .
(٥) أحمد خاكي ، شكسبير ، ص ١٦٢ .
(٦ ، ٧) أيفانز ، المصدر السابق ، ص ٨٠ ، ٨١ .
(٨) أيفانز ، المصدر السابق ص ٨٦ .
(٩) لكوي ، الموجز في تاريخ الادب الانكليزي ، ترجمة الدكتور يوتيل
عزيز (مخطوط) .
(١٠) أيفانز ، المصدر السابق ص ٩١ — ٩٢ .
(١١ ، ١٢ ، ١٣) لكوي الموجز في تاريخ الادب الانكليزي ، ترجمة
د. يوتيل عزيز ، (مخطوط).
(١٤) أيفانز ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ .
(١٥) جون ويبستر ، الشيطانة البيضاء ، تقديم داود حماد ص ١٦ .
(١٦) لكوي ، الموجز في تاريخ الادب الانكليزي ، ترجمة د. يوتيل
عزيز (مخطوط).
(١٧) أيفانز ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ — ١٠٩ .
(١٨) جون ويبستر ، الشيطانة البيضاء ، ص ٢٧ .
(١٩) المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
(٢٠) لكوي ، المصدر السابق .
(٢١—٢٢) أيفانز ص ١١٠ ، ١١١ .
(٢٣) أيفانز ، ص ١٢١ — ١٢٢ .
(٢٤) لكوي ، المصدر السابق .
(٢٥) أيفانز ، ص ١٢٣ .
(٢٦) لكوي ، المصدر السابق .
(٢٧) جون جي ، اوبرا الصعلوك ، تقديم : حسن عبد المقصود
حسن ، ص ١١ .
(٢٨) (٢٩ ، ٣٠) ص ١٢٥ — ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٩ — ١٤٠ .



قصائد

شعر
كامل
عويد
العامري



أعياء

العاصفة الخضراء
والوجه المسحور
والنار وكل بقايا الأشياء
نثفت من رثتي

فوق الإثسلاء

في هذا الليل المشبوب ، باغوار الليل ،
أجر عيوني من أهدابي الحجرية
أو أصلب وجدي في بار خهرته أغنيته
ما كنت وحيدا

حين العاصفة الخضراء امتدت ...
آه .. من ينقذ لي رثتي
وبهاني عرقا سريا في المساء

هاكم كفي وقلبي ...

ودمي
وتراب القبراء
ان جوادي اتعبه الاعياء

سواق

تجئين ؟

— لا ؟

... تعبرين ؟

وهل تطيرين ،
لائف في هزة بالرياح ،
وانسام صوتك هذا الضباب الكثيف
ونشوة كل السواقي
أضم الى شفئك عطور الزهور المعجيه

وكنك الذي أوقد البحر في طرق ضيقات
تأصل في زهن للنجوم التي ،
أمطرت عنقوانا
وفي الصحو سكرانة من نشيد الرذاذ

جبال تحس اهتزازا غريبا
وشمس عذابني
مريره !

يد

نهر المواسم
والنخل يبحث عنه
وكان

لكل البساتين
نبعا

ونبضا
— وبالماء والتعب المستطاب
تقوم وتبقى .

ويعرقه النخل ،
مذ كان طفلا
يمد اليه يديه

ويمنح فيثا
وسقفا

ويستبشر النخل

— هذي ستثمر لو مر شهر
وتلك ...
وتلك ...

براعم الكهفة في طفولة الجذور

شعر

جمال
القصاص

ناديتك .. ضمني
فوي بين ضلوعي .. حسيني
انت اللون الاخضر فوق مدار التكوين

• • •

انت ..
وهل انت قلبي دماء الدماء . ام برد البرد ، احسب
الموت ، ام الموت الحب . ام شيء يتنهدش في اعماق
النهر ، يقلب أرغفة الطمي ، يفتق صوصة البرق ، على
عتبات الصحو يفمرني حبك ، تسكنني الاصوات
الوهمية ، والاصوات المتقبضة تحت فراغ الظل ..

والدمع اغان ..
الدمع اغان يمزقها الخوف القابت في احشاء الارض

الدمع اغان ..

الاف الاطباء تبوت

اجمل اطفال الدنيا لم يولد بعد

(بل اجمل اطفال العالم)

يا من يورق حول دموعي

حزني هذي الطرق المهجورة ، هذا الغيم العابق

فوق الاعشاب البرية

حزني ارض تنشئ الضحكات الدموية

يا من يورق حول دموعي

القمر ينقلب انهار العالم

يخمش اوهام المدن المطبورة

والان ستخرج اسراب الموني

تطلق في الافق حمامات سحرية

الان ستخرج

الان ستخرج

الان

الان

جمال القصاص

في الغرف العلوية من سقف العالم . كنت اراقب طيفك
يعرج متسحبا بملامح لهفتنا الاولى . وانا اتهدد نهرا من
غير سواطيء . تتجمع حولي المدن الخزفية والمدن
الحجرية ، والمدن الاخرى ، احلم بالليل نوافذ مفتوحة .
بالصبح يهاجر في صحراء الروح المجروحة ، احلم انا
نتلاقي في كل مساء ، نتدفأ في حارات طفولتنا ، نركض
خلف الشجر الاخضر ، والشجر الاحمر ، ننسكع في
الزمن الطفل ، نبل مجرة الحب بانواء البحر . نتدفق
في خابية الشهوات للمجربة لثلال ضياء .
احلم ...

اتفرق كالموج الهارب فوق سواطيء عينيك الممتدة من
آخر هذا العمر .. ابدا . ثمة اضواء وصدى ،
ومواكب ترحف نحو الشمس ، ووجهك ينالقي في وجهي
والريح تبعثر ما يساقط من شجر الحلم .

هل كنت شريدا

هل كنت بعيدا

هل كنت قريبا

هل كنت وحيدا ؟

ادخل ..

في المدن السرية ، تأسرني الاحزان الشاحبة الصوت .
ادخل والاف الغابات الناحلة الخضراء . زمن يتراجع
بين الخضرة والصفرة ، اجساد تلعب تحت خفوف
الضوء . قلت : اكون مملكة ، اسكن اطراف العالم .
اسكن هذا الجوع المترهل بين خطاي ، واوزعه اوسمة
تتلاقى في عرى الفقراء اللقيين . عل العالم يصحو ، عل
الطفل المتعب يطرق ابواب الفجر .

احلم ..

الشمس الفواحة توقظني ، تملؤني بالخوف الابيض ،
ارسم هذي الحيرة .. طرقا تمتد . تنسحب في كل
الاحياء المجهولة .

الواحة العطشى !

بقلم : سعد صائب
دمشق .

هل ثمة تفسير لهذه الظاهرة ، سوى جهل اديبننا
«رسالته» ؟

٦ -

من محابين شيعرنا «التقليدي» في مجله ان الشاعر
يسمو بشعوره على غيره ، ومن مساوي شعرننا
الحديث في مجله ان «الخير» يسمو بشعوره على
الشاعر .

اتدري السبب ؟

انه صفاء حسن ذاك ورقة شعوره ، ورهافة ذوقه ،
وركود حس هذا ، وخمود شعوره ، وفساد ذوقه .

«تعمسا لدهر قد أتى بمجائب

ومحا رسوم الظرف والاداب

وأتى بكتاب لو انبسطت يدي

فيهم رندتهم الى الكتاب (١)»

٧ -

الفارق - في الادب - بين الالتزام الذي يعني
الولاء للدولة وبين الالتزام الذي يعني الولاء للمجتمع ،
كالفارق - في الفلسفة - بين الجبر والاختيار .

٨ -

كم من آداب زيفوا صورة مجتمعهم بحملهم امرأة
مقكرة ، وما دروا ان الزيف في مرآتهم لا في مجتمعهم .

٩ -

سألته : ما السبب في خلو مكتبائنا من الكتب التي تبحث

« .. ان الطريقة الوحيدة لانقاذ نفسك ،

هي ان تناضل لانقاذ الآخرين ! »

« نيكوس كازانزاكي »

١ -

لكل آمة عصرها .. ولكل عصر روح تهين عليه ،
والاديب الحق ، من سما بالروح التي هيمنت على عصر
امته .

٢ -

اذا كانت وظيفة التحليل النفسي تحويل اللاشعور
الى شعور ، فان وظيفة التحليل الادبي تحويل اللاشعور
الى تجربة .

٣ -

من دلائل عظمة اثر ادبي تذوقته في صباحك ، دوام
تذوقك له في هرمك .

٤ -

دأب الشاعر ان يحول فكرته - اعني تجربته - الى
حلم ، ودأب الكاتب ان يحول حلمه - اعني تجربته -
الى فكرة ، ودأب المصلح ان يحول الفكرة والحلم الى
واقع .

٥ -

من معالم رسالة اديبهم انه يغير مجتمعه ،
ومن معالم رسالة اديبنا ان مجتمعه يغيره ،

— ١٤ —

الثقافة — كما يقول «غاليري» — تعلمنا العودة الى ذواتنا .. بدد اني حين انا «شعرنا الحديث» لا اعثر البتة على ذوات شعرائنا .. اتري مرد ذلك الى ضحالة ثقافة شعرائنا المحدثين ؟ ام الى تقدم ذواتهم ؟ .. لست ادري .

— ١٥ —

علمتي حياتي العقلية — التي لا ابرح احياها منذ شببت — ان التفكير لا يدل على وجودي وحده فحسب ، بل يدل على سعادتني كذلك .
والفارق بيني وبين «ديكارت» انه بنى مذهبه على اللجوء الى العقل ليدعم الدين ، واثني بنيت نظرتي على الاحساس بالسعادة لادعم الحياة .

— ١٦ —

سألني تانه : هل حكمتك التي لا تني تطالعنا بها في كتاباتك غفوة ام اكتساب ؟
اجبت : اكتساب .
قال : ممن اكتسبتها ؟
قلت : من كلهم الغيظ من تهاكت .

— ١٧ —

سألته : فيم تدعي الناشئة من ادبائنا ان شعرنا — التقليدي رثات نحاسية فارغة ؟ انها لا تملك اي مفهوم عنه ؟ ام خلوها من الاحساس الجمالي ؟
اجاب : بل لتؤكد ان شعرها «الحديث» اصداء لتلك الرثات التي تدعيها .

قلت وقد عرفت ما في نفسي : لقد خطئوا حتى في هذا فخبا لنهم ومات الصدى .. وحين ادار ذلك فسي خلده راح يردد ممتها : اجل ... لقد خبا اللحن ومات الصدى فأحل « التجديد » الهلكة بشعرنا الذي كنا ننسبه « ديواننا » منته به على العالم ثم مضى لا يلوي على شيء ، وهو يردد بينه وبين نفسه :

«لوشعر كبحر الكيش فرق بينه

لسان دمي في القريض ذخيل»

— ١٨ —

قد يظن بعض الشعراء يهذي ولا يعيا حتى يقول الشعر .. وقد يظن بمشهم يهذي وحين يعيا ياخذ بتلبيط (٢) الشعر ليقسره على القول .. والفارق بينهما

في المسائل الاخلاقية ؟

اجاب : ندره من يؤلفون هذه الكتب ، وعسر تأليفها عليهم .

قلت : وما يبعث هذا العسر ؟

قال : ان مسائل الاخلاق تقتضي ممن يكتب فيها علما وعملا في ذات الوقت .. كما تقتضي ان يحمل عليه فضيلة ، وان يكون تأليفه صورة حية لحقيقة فسي نفسه ، لاعمال تطابق تلك الحقيقة ، وتستلهمها كذلك . قلت : الان عرفت لماذا عجت مكتبائنا بالكتب التي تثير الفرائز ، وخلصت من الكتب التي تسبو بها .

— ١٩ —

هاكم عبرة من التاريخ :
حين غلبت «العالمية» الفصحى عند الفرس قبل الفتح العربي ، غلبت العربية على الفارسية بعد الفتح .
تبعث الامة ببوت لغتها .

— ٢٠ —

ثمة ادباء مغرورون ، لا يملكون اي قدر من الموهبة ، يظنون ان الادب «واجب» يؤدونه قترأهم بانذلين فسي عطائهم .

وثمة ادباء متواضعون يملكون الموهبة ، يؤمنون بان الادب «حياة» يحيونها ، قترأهم باخلين في عطائهم .

اولئك «اغنياء» لحقيقتهم .

وهؤلاء «فقراء» لحق الحياة .

— ٢١ —

كلما ابصرت «فنا تجريديا» في لوحات بعض فنائنا ، ادركت الفارق بين الايدي الطبيعية التي تحرك الريشة والايدي الصناعية التي تتحرك بها .
عندي ان هذا الفارق مئات من التباين بين حضارة نبدعها ، وحضارة نغدها .
اليس « لكل حضارة نظامها الداخلي » ؟

— ٢٢ —

سألني : هل تتحول الفكرة الصحيحة الى فعل ؟

اجبت : اجل .. حين تحياها .

قال : وان لم يكن لهذه الحياة معنى ؟

قلت : يكون الخطأ في فعلك لا في فكرتك .. الم يقل لك :

ان «الفكرة الصحيحة تحمل حقيقتها في ذاتها»



الجواهر المرفقة

قصة الكاتب الفرنسي الكبير ..

جي دي موباسان

ترجمتها الى العربية ..

ندى الرفاعي

قابل السيد لانتان تلك الفتاة في سهرة قضاها عند
مساعد رئيس المكتب الذي يعمل لديه .. واحبها
بجنون حالمآ رآها للمرة الاولى .

ان ذاك افلحت قوة طبعه ، في تبديد هذيانه ، فتسامى
بموهبته الى مقام الإبداع . وأن هذا جدت حدة هذيانه
في تشويه طبعه ، نفسل بقربحته الى درك التقليد ...
ألا ما اصدق لغتنا الجميلة حين سميت الاول شاعرا
لقوة طبعه وسامى موهبته . ودعت الثاني نازلها
لنشويه طبعه وبذاذة (٢) قريحته .

— ١٩ —

سألته : ما السبب في غلبة الضحالة على شعرنا
المعاصر ، وقلة الإختراع فيه ، حتى لم نعد نسمع
او نقرأ ، الا كلاما رثا ، ومعنى غثا لا طائل فیهما ، ولا
طلاوة علیهما ؟

اجاب : ثمة سببان .. احدهما انكار شعراننا تقاليدنا
الشعرية الموروثة ، وافسادهم روعة البساطة التي
كانت تميز شعرنا القديم ، ثم جهلهم الملازمة بـ
«تجديدهم» المفتعل والروح العربية الاصيلنة ..
وثانيهما : جنوحهم الى تقليد الشعر الغربي ، وحذوهم
حذوه ، واتياتهم بمعاني والفاظ لا يسوغ استعمالها في
شعرنا ، ولا تتقبله سليقتنا ، ثم كثرة اغارثهم على
الشعر الغربي حتى امسوا عبيد هذا الشعر .

قلت : وانا اجهد في الامر (٤) : افي وسعنا ترويض المستهم
على الصواب ، وتجنب المقلدين منهم عن الجيدين ،
والمزيفين عن الصادقين ؟

قال : اجل .. ان نحن اتبعنا سبيل «احمد بن المديني»
قلت : ليتك تبثني خبره .

قال : كان احمد بن المديني اذا مدحه شاعر فلم
يرض شعره قال لغلامه : امض به الى المسجد الجابح
فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم خله .. فتاباه
الشعراء الا الانراد المجيدين (٥) ..

قلت : لئن عزل ابن المديني عنه شر شعرائه المقلدين
بارغابهم على الصلاة مخيب امل آملهم ، واصاب في
ذلك الغرض ، فهل نصنع نحن اليوم صنيعه وليست
لنا قدرة على ارغابهم على الصلاة ، بعد ان زهاهم
الكبر ، ورفعوا انوفهم تيهيا ؟

قال ساخرا : اذن ... ننقل شعرهم الى لغات الغرب .
قلت ضاحكا : ما عدوت الذي في نفسي ، بعد ان كساد
الياس منهم يغلب الرجاء .

— ٢٠ —

اني اتول لكم :
ما من قوة الا وتمنوا يوما للحياة ،
الا قوة الفكرة وتمنوا الحياة لها ،
لأنها اقوى من الحياة .

- ١- البيتان : لرفيق رفق سلوم .
- ٢- اهل بلبلييه : جمع عليه لويه عند صدره ، وتبش عليه وجره .
- ٣- البذاءة : زناطة الهيئة — «اجهد في الامر» احتاط
- ٤- انظر : زهر الاداب — الجزء الثاني — الطبعة الثالثة ص٢٠٥ .

عزيزتي بما أنك لا تستطيعين شراء الجواهر الحقيقية فانك تظهرين مزينة بجمالك وحشمتك حيث انهما أندر الحلى للنساء ..

وكان ردها : وماذا باستطاعتي أن أفعل ؟ أنني مغرمة بالجواهر . انه ضعفي أنا ، وليس في وسعنا تغيير طلائعنا .

ثم تلف عقود اللؤلؤ حول أصابعها وترفع الجواهر الباهية لتتال عجايب زوجها بلاطفة اياه برقة :

— انظر ! اليست بدعية ؟ ان الواحد ليكاد يقسم بأنها حقيقية .

عند ذلك كان السيد لانتان يرد عليها باسمها :

— ان لديك ذوقا بوهيميا يا عزيزتي .

وغالبا عندها كانا يستمتعان بجلسة قرب الموقد كانت تضع على مائدة الشاي الصغيرة العلبية المجلدة التي تحوي « الغلامه » كما يحلو للسيد لانتان تسميتها. فكانت تفحص الجواهر المزينة بانتباه حاسي وكأنها كان ذلك يمنحها سعادة دقيقة . وكثيرا ما كانت تصر على ان تمر ثلاثة حول عنق زوجها لتضحك من الاعماق قائلاة :

— كم تبدو غريبا مضحكا .. ثم تلقي بنفسها

بين ذراعيه .

وفي احدى امسيات الشتاء ذهبت الى الاوبرا وكانت عودتها في البرد القارس . وفي الصباح التالي اخذت تسلم ، وبعد ثمانية ايام ماتت من تأثير التهاب

http://Areibeta.Sakhril.com

واستسلم السيد لانتان لاحزانه وبأسه حتى أبغض شعره في ظرف شهر واحد . كان يبكيها بلا انقطاع ، تقطع قلبه الحسرات ، وتطارد عقله الذكريات ، ابتسامتها ، صوتها .. كل جانبية زوجته الجميلة ، الراحلة .

ولم تهدأ او تلتم كآباته أبدا ، فغالبا خلال ساعات عمله عندها كان رفاته يناقشون أحداث اليوم كانت عيناه تغرقون نجاة بالدموع فكان يعطي هوموه منفذا بنشيج يبرق الفؤاد .

كان كل شيء في غرفة زوجته على حاله قبل مرضها وفيها كان يعزل نفسه كل يوم ليفكر فيها ، تلك التي كانت ثروته وسعادته وجوده .

ولكن سرعان ما أصبحت الحياة صراما بالنسبة له . فان راتبه الذي كان يغطي مصاريف المنزل في عهده زوجته صار الآن لا يكفي لمطالباته الحالية فتمجب كيف كان باستطاعته التدبير لتشتري تلك المشروبات الفاخرة والأطعمة اللذيذة النادرة ، أشياء لم يعد باستطاعته ان ينالها بدخله البسيط .

تعرض للدين وسرعان ما أصبح في فقر تام . وفي

كانت ابنة أحد أطباء البلد ، توفي والدها منذ اشهر قليلة خلت وانت الابنة لتعيش في باريس مع والدتها التي تاهت بزيارات عديدة لعارفها على امل ان تضمن لابنتها زواجا جيدا . لقد كانتا فقيرتين ، شريقتي النفس هادئتين وبعيدتين عن التصنع .

كما كانت الفتاة من المعنفات ومن النوع الرقيق الذي يحلم أي شاب حساس ان يحوز عليه .

كان لجبالها البسيط سحر الحياء اللائكي ، وكانت بسمتها الطفيفة التي تحوم دوما حول شفها تبسو كاتعكاس لروح صافية وودودة . اما عبارات الاستحسان فكانت تحوطها من كل جانب . لم يكف الناس أبدا عن ترديد مثل هذه الكلمات : « سعيد هو ذلك الذي سينال حبيها ، فان يجد له زوجة أفضل » .

في مثل هذا الوقت كان للسيد لانتان دخل متواضع . ألف من سبع مائة دولار ، وهكذا فكر في انه يستطيع بأمان تحيل مسؤولية هذه الزيجة . فتمتد لغفاته ووافقوا عليه .

كان سعيدا معها الى حد لا يوصف ، لقد ساست منزله بذكاء وتدبير حتى بسدا انهم يعيشون في ترف حقيقي . وعزقت على زوجها فيض اهتمامها الرقيق ، تلاطفه وتدله فكانت جاذبية وجودها بجانبه عظيمة التأثير .. حتى اكتشفت بعد ست سنوات ان زواجه انه يحب زوجته أكثر مما احبها خلال الايام الاولى من زواجه الميمون .

كان فقط يشعر بهيل ليعاتبها على أمرين : هيا شغفها بمشاهدة المسرح وذوق ميل للجواهر المزيفة . كانت صديقاتها من زوجات الموظفين يصطحبهن مرارا معهن لمقصورات المسرح ، وغالبا للمعرض الاولى من المسرحيات الجديدة . فكان زوجها مضطرا لمرافقتها سواء رغب في ذلك أم لم يرغب رغم ان ارتياح مثل هذه الاماكن الترويحية كان يضايقه كثيرا بعد يوم من العمل الوظيفي .

بعد مدة طلب السيد لانتان من زوجته ان تجد لها سيدة من معارفها لتقوم بدور مرافقتها . كانت في البداية تعارض مثل هذا الترتيب ولكن بعد اقناع طويل من جانبها بقيت أخيرا من أجل ان تبهج زوجها الى أقصى حد .

بعد ذلك ، ومع حبها للمسرح ظهرت أيضا رغبة للترين . حقيقة ان أنوارها بقيت على حالها ، بسيطة وذات ذوق رفيع ، لكنها بدأت في تحلية انظنها بأحجار كبيرة تضيء وتلعب كالاماس الحقيقي ، حول عنقه سلاسل من اللآلئ المزيفة وحول معصيهيا أساور من الذهب المقلد .

كان زوجها يعاتبها مرارا بقوله :

صباح يوم عندها لم يجد سنا وأحدا في جيبه عزم على أن يبيع شيئا ، وفي الحال وأتته فكرة التخلص من الحلى المزينة . أحيا ذلك في قلبه نوعا من الضغينة لهـذه الجواهر . لقد كانت ذاتها سببا في إثارتها في الماضي ورؤية هذه الحلى تقسد الى حد ما ذكرى محبوبته التي فقدوها .

حتى آخر يوم في حياتها كانت الزوجة مستمرة في عمليات الشراء ، تجلب معها كل مساء تقريبا جواهر جديدة .

عزم الزوج على بيع القلادة الثقيلة التي تبسو كائنها حقيقية ، فكر في أنه لا بد أنها تساوي حوالي ٦ أو سبع فرنكات ، فرغم أنها كانت مصطنعة فلا بد أنها صنعت بمهارة فائقة .

وضعها في جيبه وخرج يبحث عن محل للمجوهرات . دخل اول محل رآه وهو يشعر ببعض الخجل من كشف فائقته وليرعرض للبيع شيئا مثل هذا لا تبية له .

« سيدي » يخاطب التاجر : « بودي أن أعرف كم تساوي هذه ؟ » تناول الرجل القلادة ، أخذ يفحصها ، نادى كاتب الحسابات مبديا بعض الملاحظات بصوت خفيض ، بعدها أرجع الحلية على العداد ونظر إليها من مسافة ليحكم على النتيجة . كان السيد لاتنان متضايقا من كل هذه التفاصيل وكان على وشك أن يقول « أوه ! أعرف أنها تكاد لا تساوي شيئا » عندها قال البائع : « سيدي ، ان هذه القلادة تساوي من اثني عشر الى خمسة عشر ألف فرنك ولكني لن أستطيع شراءها قبل أن تخبرني من أين أتيت بها » .

فتح الارمل عينيه على سعتها وظل مذهولا لا يفهم ما يعنيه التاجر . وأخبرته : « انتقول .. هل انت متأكد ؟ » وأجاب الآخر ببرود :

« بوسعك أن تبحث في أي مكان آخر لترى ان كان هناك من يعرض عليك أكثر . اني اقدر أنها تساوي خمسة عشر ألفا على أكثر حد . عد اليها ان لم تجد لك عرضا أفضل » .

رفع السيد لاتنان القلادة باندھاش وترك المحل ، مبتنيا في قرارة نفسه لو كان لديه وقت للترافع . وفي الخارج شعر بميل للشك محمدا نفسه قائلا : « ذلك الاحق ! لو اني استمسكت بملكته ! ان هذا الصانع لا يميز الجواهر الحقيقية من المزيفة » . وبعد دقائق دخل الى مخزن آخر في شارع دي لابي وبوجد أن ملح صاحب المحل القلادة هتف قائلا : « آه ، والله ! اني أعرفها جيدا ، لقد بيعت من هنا » .

انزعج السيد لاتنان وتساءل :
— كم تساوي ؟

— خيرا ، لقد بعتهما بعشرين ألف فرنك . واني استردھا بثلاثية عشر ألفا عندها تدلني تبعا لصفحتك القانونية كيف أصبحت ضمن ممتلكاتك .

في هذه المرة تحير السيد لاتنان وأجاب :
— لكن — لكن — اخترتها جيدا . حتى هذه اللحظة كان لدي انطباع بانها مزيفة .
— ما اسمك يا سيدي ؟

— لاتنان .. اني موظف لدى وزارة الداخلية واسكن في شارع مارترير رقم ١٦ .

دقق التاجر في دفاتره فوجد القيد وقال :
— تلك القلادة بعثت لعنوان السيدة لاتنان ، شارع مارترير رقم ١٦ في العشرين من يوليو ١٨٧٦ .

تطلع الرجلان في عيون بعضهما — الارمل صابت لفرط دهشته والصائح يحسبه سارقا ، ثم قطع الآخر حبال الصمت بقوله :

— هلا تركت هذه القلادة لاربع وعشرين ساعة ؟ اني سأعطيك ايصالا ..

— بالتأكيد . اجاب السيد لاتنان بسرعة ، بعدها وضع البطاقة في جيبه وترك المحل .

أخذ ييمع على غير هدى في الشوارع وعقله في حالة اضطراب مريب . حاول ان يمنطق ، ان يفهم . انه لم يستطع ان يتقدم على ابتياع مثل هذه الحلى الباهظة الثمن . بالتأكيد لا . لذلك فلا بد أنها كانت هدية ! .. هدية ؟ هدية ممن ؟ ولماذا حصلت عليها ؟

تسمر في مكانه وبقي واقفا وسط الشارع . راودته رغبة مريبة — هي ؟ اذن فجميع الجواهر الأخرى كانت هدايا أيضا ؟ بدت الارض وكأنها تهتز تحت قدميه ، الاشجار تنساق اياه ، وبينها هو يلتقي بذراعيه الى اعلى اذ به يقع على الارض مغشيا عليه .

استعاد حواسه ليجد نفسه في إحدى الصيدليات، ادخله اليها بعض المارة وبعد ذلك اوصلوه لمنزله .

وعند وصوله أغلق دونه باب غرفته وأخذ يبيكي حتى حلول الظلام . وفي النهاية صار منهوكا من التعب فألقى بجسده على الفراش حيث قضى ليلة صعبة ما ذاق فيها طعم الراحة .

وفي الصباح جلس واستعد للذهاب الى مقر وظيفته . كان من الصعب عليه أن يعمل بعد صدمة كهذه . لذلك أرسل رسالة الى مستخدميه يطلب فيها يعذره . بعدها تذكر ان عليه مراجعة الصائح . لم تحل له الفكرة ولكنه لم يستطع ان يترك القلادة مع ذلك الرجل ، وهكذا ارتدى ملابسه وخرج .

كان يوما بديعا ، سماء صافية زرقاء تنقسم للمدينة

عشرة قائمة للحساب ، عددها وناولها للسيد لانتان الذي وقع على إيصال وببذ مرتعشة وضع النقود في جيبه .

وعندما كان على وشك الخروج من المحل استدأر ليوأجه التاجر الذي كان لا يزال يضع إبتسامته المعروفة قائلاً له وقد أغضض عينيه قليلاً :

— ان لدي .. ان لدي جواهر أخرى استلبتها من المصدر ذاته . هل ترغب في شرائها أيضاً ؟

أتحنى التاجر وهو يقول . بالطبع يا سيدي . فقال السيد لانتان برصانة : سأجلبها لك .

وعاد بها بعد ساعة . اقترأط الإلماس الكبيرة كانت تساوئ عشرين ألف فرنك ، مجموعة من الزمرد والياقوت الأزرق بآربعين ألفا ، سلسلة ذهبية تعللقتها جوهرة فريدة بآربعين ألفا — أي ما يساوي مبلغ مائة وأربعة وثلاثين ألف فرنك .

وأشار الصائغ مازحاً :

— كان هناك شخص ما وظف كل مدخولها بالآحجار الثمينة .

فأجاب السيد لانتان جاداً :

— لقد كانت فقط طريقة أخرى لتوظيف أموالنا ..

في ذلك اليوم كان غداؤه عند مطعم فوازن وتناول مشروباً ثلث الزجاجة منه عشرين فرنكاً . بعد ذلك استأجر مركبة ولفها بها في دورة سياحية . وبينما كان ينهمر النهر في إعتصابات العمال ، استطاع بالكاد ان يمنع نفسه من أن يهتف في الشاغلين :

— آنا ، أيضاً غني ! أنتي أساوي مائتي ألف من الفرنكات .

فجأة فكر في مستخدمه فأنجبه الى المكتب ودخل اليه مسروراً وهو يقول :

— سيدي ، أتيت لأقدم استقألتي من الوظيفة لقد ورتت في التو ثلاثمائة ألف من الفرنكات .

أخذ يودع زملاءه السابقين وأسر اليهم ببعض خطله للمستقبل ، بعدها توجه لتناول عشاءه لدى مطعم « القهوة للإنجليز » .

أخذ لنفسه مكاناً بجانب رجل من الطبقة الأرستقراطية وعلى مدار تناول الوجبة كان يعلم الأخير بأنه ورت قبل قليل ثروة تتكون من أربع مائة ألف فرنك .

لأول مرة في حياته لم يمل من مشاهدة المسرح وقضى بقية الليل في لهو بهيج .

وبعد ستة أشهر تزوج من جديد . كانت زوجته الثانية امرأة فاضلة ذات مزاج صارم . وقد أورتته الكثير من الندم .



المشغولة تحتها ، رجال أعمال فارغون يحومون وأيديهم في جيوبهم .

بينما السيد لانتان يرايتهم قال يتحدث نفسه :

— ان الإغنياء سعداء بلا شك . بالمال يصبح بالإمكان نسيان أعمق الإحزان . والفني يستطيع الذهاب أينما يشتهي ، وفي السفر تلك التسلية والترفيه الذي هو أضمن شفاء للحسرات . آه لو كنت غنيا !

بدأ يشعر بالجوع ، جيبه خال . تذكر القلادة ثمانية . ثمانية عشر ألف فرنك ! ثمانية عشر ألف فرنك !

يا له من مبلغ ! سرعان ما وصل الى شارع دي لايب ، مقابل الصائغ . ثمانية عشر ألفا ! عشرين مرة أربع على الدخول ولكن الحياة كان يمنعه . كان جائعاً ، بالآخرى

جائعاً جداً وما كان لديه سنت في جيبه . قرر بسرعة ان يركض عبر الشارع حتى لا يكون لديه وقت للتراجع ودخل الى المخزن .

تقدم صاحب المحل في الحال وعرض عليه بأبد ان يتخذ له مقعداً : كتاب الحسابات كانوا يرمقونه بنظرات احترام .

— لقد قمت بعمل استقصاء يا سيد لانتان . قال الصائغ « وإذا كنت لا تزال عازماً على التخلص من القلادة فاني مستعد لأدفع لك السعر الذي عرضته » .

— بكل تأكيد يا سيدي . فهته السيد لانتان . وعلى اثر ذلك استخرج صاحب المحل ثمانتي

من أغنيات ملاح الزورق المنبوز

- ١ -

ترفضه كل محيطات العالم ، تنعوز منه - اذا ما
طنطننت الانواء - مرافئها .

يترصده حين يداعبه الغرياء - دوار البحر ..

... ، لماذا تدفنه الرحيات القاصيه ، ...

... ويلفظه النهر الداني ؟

- ٢ -

هل ناصبت الموج عداء خرائطك المرتحلة ... ؟

هل عادتت التيار ؟

...، لا يذكر الا اطلاق النار على اسماك القرش،

وتسديد الرمح بقل الحيتان اللاعبة على ابحال
النسك ،

وفي حليبات الثورة !

- ٣ -

زورقنا كان على عتبات الميناء الفاتن افلاطونيا ..

تستقبله بنينيات الاطفال ، ، ، ، ،

تعانق فتيات الاجال الممتدة بالعطر .. وبالاشجار ..

...، في تلك اللحظة :

ارعد وجه الحطم ، تلبدت الاشجار !

- ٤ -

ماذا يفيى الشاطيء منا ... ؟

زورقنا لا يعرفه الليل الاحمر ، ...

لا يبحر للجزر الامعى ، لا يتحجم في شلالات المخلوقات
الشوهاء ...

زورقنا انسان يستنكر قصص طيور البحر ..

ويرئى لمرأة الغابات البكر ..

..... ،

ماذا يفيى الشاطيء من زورقنا .. ؟

- :

قال : ... تطهر ؟!!؟

شعر

احمد زرزور

اية طهارة يريد

شاطيء هذا العصر ... ؟